

العنوان:	غارات نورمان صقلية على مدينة تيبس المصرية (1154 - 1177م/ 548 - 573هـ) : محاولة للتفسير
المصدر:	مجلة كلية الآداب - جامعة بنها - مصر
المؤلف الرئيسي:	مغازي، ممدوح محمد
المجلد/العدد:	ع 21, ج 2
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2009
الشهر:	يوليو
الصفحات:	1103 - 1043
رقم MD:	425439
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	AraBase
مواضيع:	المدن و القرى ، الشرق والغرب ، التاريخ الاسلامي، قبيلة النورمان، صقلية، تيبس، مصر، العلاقات الاقتصادية، الأحوال السياسية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/425439

غارات نورمان صقلية على مدينة تيبس المصرية

(١١٥٤ - ١١٧٧ م / ٥٤٨ - ٥٧٣ هـ)

محاولة للتفسير

الدكتور

ممدوح محمد مغازي

مدرس تاريخ العصور الوسطى

كلية الآداب - جامعة بنها

غارات نورمان صقلية على مدينة تينيس المصرية

(١١٥٤ - ١١٧٧ م / ٥٤٨ - ٥٧٣ هـ)

محاولة للتفسير

الدكتور

ممدوح محمد مغازي

مدرس تاريخ العصور الوسطى

كلية الآداب - جامعة بنها

مقدمة

تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب قصة طويلة متقلبة ومتغيرة، كثير من فصولها كان حربا وضربا، وقليل من فصولها الأخرى كان علاقات سلمية هادئة أسهم إسهاما مباشرا في مسيره البشر نحو عالم أفضل وأكثر تقدماً وبعدا عن التعصب الديني الذي ساد العصور الوسطى التي نحن بصدددها .

وموضوع هذه الدراسة يحتمل هذين الوجهين من أشكال العلاقة بين الشرق الإسلامي والغرب الأوربي في ذلك العصر الوسيط، إذ هو يتعلق بظهور النورمان في صقلية وجنوب إيطاليا والدور الذي لعبوه في عالم البحر المتوسط وحرصهم أولا على أن تكون وصقلية محطة لشن المزيد من الهجمات والاستيلاء على مناطق جديدة في حوض المتوسط وشمال أفريقيا، وفي ذات الوقت فقد بذلوا كل الجهد لتظل الجزيرة كالصخرة يلعبون مع خلالها دور الوسيط التجاري النموذجي في الرحلات التجارية داخل حوض هذا البحر وعالمه في العصور الوسطى^(١).

لقد أسس النورمان دولتهم في صقلية وجنوب إيطاليا عن طريق اللصوصية وقطع الطريق، وارتكاب كل أنواع العنف ، فلم يكن لشيء قدسيه في نظرهم^(٢) ورغم ذلك فالدولة التي أسسوها تحتل مكانه هامة في تاريخ العصور الوسطى عامة ، وفي تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب داخل حوض البحر المتوسط خاصة ، وهذا يرجع إلى نجاحهم في استبقاء كل العناصر التي كان يمكن أن تفيدهم في بناء حضارتهم وكيانهم بصرف النظر عن الاختلاف عنهم من ناحية الأصل والدين والمذهب^(٣).

سعى النورمان كذلك لاستمرار علاقتهم التجارية والسلمية الطيبة مع الشرق الإسلامي وبصفة خاصة مع الدولة الفاطمية في مصر ، وهناك الكثير من الأدلة التي تؤكد ذلك ، ورغم هذا فلم ينسوا دائما طموحاتهم التوسعية ومغامراتهم وأطماعهم اللانهائية، فاخترقوا المعاهدات والهدن، وقاموا بين الحين والآخر بالعديد من الهجمات على مدن النيل والدلتا المصرية ، وهي هجمات حملت شكل الغارات المدمرة التي غالبا ما اتسمت بالسلب والنهب وخصه بعد نهاية عهد روجر الثاني Roger II (١١١٢ - ١١٥٤ م / ٥٠٦ - ٥٤٨ هـ) .

وهذه الدراسة هي محاولة للكشف عن الأسباب والدوافع أو محاولة إيجاد تفسير واضح لهذه الغارات على مصر خاصة مع وجود العلاقات السلمية بين نورمان صقلية وحكام مصر من الفاطميين ومن بعدهم الأيوبيين .

ورغم تأثر العديد من مدن النيل والدلتا المصرية بهذه الغارات وبخاصه دمياط والأسكندرية والتي تناولت كل منها بعض الدراسات سواء كانت غارات من أوربا عامه أو من نورمان صقلية خاصة^(٤) فإننا سنقصر هذه الدراسة علي الغارات التي قامت على مدينة تيس المصرية بالذات في الفترة ما بين عامي ١١٥٤ - ١١٧٧ م / ٥٤٩ - ٥٧٣ هـ وسنحاول التعرف على الإضرار التي وقعت على هذه المدينة والتي أدت بعد ذلك إلى تدميرها نهائيا في القرن الثالث عشر الميلادي /السابع الهجري بحيث صارت من حينها وحتى الآن واحدة من المدن المندثرة ، وهل كانت هناك أسباب لتوجيه هذه الغارات إلى تلك المدينة بالذات عن تعمد وقصد، أم أن تلك الهجمات كانت موجهة في الأساس إلى دمياط لأهميتها للصليبيين عامة ولنورمان صقلية خاصة ، ثم طالت تيس في ركاها؟

أما عن الحدود الزمنية لهذا الموضوع ، وأسباب اختياره، فقد اخترنا الفترة التي تلت وفاة الملك النورماني روجر الثاني Roger II في عام (١١٥٤ م / ٥٤٩ هـ، وحتى عام ١١٧٧ م / ٥٧٣ هـ) أي فتره حكم وليام الأول William I (١١٥٤ - ١١٦٦ م / ٥٤٩ - ٥٦٢ هـ) وجزء من حكم وليام الثاني William II (١١٦٦ - ١١٨٩ م / ٥٦٢ - ٥٨٥ هـ) الابن الأكبر لوليام الأول ، وهي ذات الفترة الذي تمتد من أواخر حكم الخليفة الفاطمي الظافر بامر الله (٥٤٤ - ٥٤٩ هـ / ١١٤٩ - ١١٥٤ م) وتنتهي بعد سقوط الدولة الفاطمية وتمتد حتي السنوات الأولى من حكم صلاح الدين في مصر حتى عام ١١٧٧ م / ٥٧٣ هـ، أي أنها تشمل فتره الضعف الفاطمي الأخير والذي أنتهي بسقوط الدولة في عام ١١٧١ م / ٥٦٧ هـ وبدايه تأسيس صلاح الدين

(١١٦٩ - ١١٩٣م / ٥٦٥ - ٩٥٠ هـ) لدولته الأيوبية والأخطار التي كان يعانيها في هذه الفترة المبكرة من حكمه.

أما أسباب اختيار هذا الموضوع فتعود إلى أن الكثير من الدراسات لم تتعرض لهذه الغارات ، اعتقادا منها أنها لا تستحق أن تفرد لها دراسة ، أو لنقص المعلومات وعدم اكتمالها حول هذه الغارات وأن وجدت فهي هزيلة وغير كافية نوعا ما، وخاصة في المصادر الغربية التي كان تركيز أصحابها منصبا بشكل كبير على الأحداث الداخلية التي وقعت في مملكة صقلية، وبصفة أكثر على الأحداث التي وقعت داخل البلاط الملكي النورمانى . وإن تحدث مؤلفي هذه المصادر على الأحداث أو العلاقات الخارجية وبصفة خاصة العلاقات مع المسلمين عامه ، ومصر وحكامها خاصة ، كان حديثهم موجزا اكتفوا فيه ببعض الإشارات الواهية التي لا تشف غليل أي باحث يتصدي لدراستها. وهي صعوبة من أكبر الصعوبات التي واجهتني وأنا أحاول تقصي حقائق هذه الغارات وأسبابها، ولذا حاولت جاهدا أن أفسر أسباب هذه الغارات ودوافعها وما ترتب عليها من نتائج على شكل العلاقات بين نورمان صقلية وحكام مصر في هذه الفترة الزمنية.

بناء على ما تقدم لم يكن تركيزي منصبا وعلي تفاصيل هذه الغارات، والتي حاولت تجميعها من خلال بعض النتف والشذرات المتناثرة في بطون المصادر العربية بصفة خاصة ، والأغرب أن المصدر الوحيد الذي كتبه أحد أبناء المدينة وهو ابن بسام التنيسي^(٥) لم يشر إلى هذه الغارات من قريب أو بعيد، وهذا يعود إلى أن الجزء الذي عثر عليه من مخطوطته "أنيس الجليس في أخبار تنيس" كان صفحاته محدودة أما الجزء الأكبر منه فلم يعثر عليه، أو أنه عاش بعد الأحداث فلم يهتم بذكر هذه الغارات . ولهذا فقد بدأت هذا الموضوع بنبذه مختصره عن الأوضاع السياسية في كل من صقلية ومصر في تلك الفترة، وأثرها على شكل العلاقات بين الطرفين، وإلى أي مدى تطورت هذه العلاقات إلى حد حدوث مثل هذه الغارات.

ثم تناولت بعد ذلك تفاصيل الغارات التي قام بها النورمان في تلك الفترة ، وما أصاب مدينة تنيس من جرائها، ولماذا كانت مدينة تنيس بالذات هي أكثر المدن المصرية تعرضا لتلك الغارات من غيرها، ثم كان مسك الختام لهذا الموضوع أفراد صفحات أكثر تفصيلا للحدث عن دوافع هذه الغارات، وأهدافها والأسباب التي قامت من أجلها.

والله أسأل أن يوفقني إلى عرض هذا الموضوع بشكل جيد عله يكون لبنة بسيطة تسد ثغرة في جوانب العلاقات بين النورمان في صقلية وحكام مصر أبان تلك الفترة ، أو يكون إسهاما جديدا للمكتبة العربية في هذا الخصوص .

والله الموفق إلى ما فيه الخير والسداد.

كانت العلاقات بين صقلية ومصر زمن الفاطميين علاقات قوية ومتمينة، وهناك من الشواهد الكثيرة ما يؤكد هذه الحقيقة لعل أهمها علي الإطلاق ، أن جزيرة صقلية ظلت خاضعة زمنًا طويلاً لحكم الفاطميين ، وهو أمر ساهم في سهوله الاتصال التجاري بها^(٦) أضف إلى ذلك قربها من السواحل المصرية ، إذ أنها تقع في أقصى جنوب شبه جزيرة إيطاليا، ولهذا كان نقطة اتصال بين أوروبا ومصر، ولا بد أن تمر بها جميع السفن المسافرة من مصر إلى السواحل الغربي لإيطاليا وإلى جنوب فرنسا وشبه جزيرة أيبيريا (أسبانيا، والبرتغال)^(٧).

ومن قبيل تلك العلاقات الطيبة بين صقلية ومصر تبادل الرسل والخطابات بين روجر الثاني حاكم صقلية والخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله (٥٢٤ - ٥٤٤ هـ / ١١٢٩-١١٤٩م)، وكذلك تدخلات روجر لديه للحصول على بعض الامتيازات ليس فقط لتجار صقلية وحدها وإنما لتجار بعض المدن الأخرى المجاورة لممتلكاته والتي طلبت منه أن يتشفع لها لدى الخليفة الفاطمي^(٨)، بل الأكثر من ذلك أن روجر الثاني عقد معاهدة تجاربه مع مصر سنة ٥٣٨ هـ / ١١٤٣م وللأسف لم يصلنا نصها، وهي من أوائل الاتفاقيات التجارية التي وقعت بين قوة غربية ومصر^(٩)، لم يكتف النورمان بذلك بل أنهم أسسوا لأنفسهم أسطولاً بحرياً قويا للقيام بالعمليات التجارية على خير وجه^(١٠).

هذا عن العلاقات السلمية بين نورمان وصقلية والفاطميين في مصر في الفترة السابقة لموضوع البحث . أما عن الأوضاع السياسية في كل منهما خلال فترة بحثنا، نلاحظ أن صقلية النورمانيه آنذاك كانت قد وصلت إلى أوج مجدها أيام الملك روجر الثاني الذي أسس مملكته في جنوب إيطاليا والتي أطلق عليها المؤرخون "رجنو" Regno بل اعتبروها أول دولة حديثة في أوروبا^(١١). والحقيقة أنه كان حاكماً قويا، وإدارياً ممتازاً، ودبلوماسياً ماهراً، وقائداً عسكرياً بدأ أحيانا متوحشاً ورغم ذلك فقد ترك خلفائه في حالة من الضعف وعدم القدرة على مواجهة الصعاب والمشاكل أولم يعدهم بالقدرة الكافية لمجابهة تلك المشاكل والتصدى لها وبصفه خاصه التي كانت

تأتيهم من ناحية الإمبراطورية البيزنطية، والقوي الأوروبية الأخرى ، والمسلمين ، بل حتى البابوية نفسها^(١٢).

خلف وليام الأول والده روجر الثاني في حكم صقلية، حيث ألبسه كبار رجال المملكة النورمانية التاج المقدس يوم عيد الفصح في أبريل ١١٥٤م/٥٤٩هـ^(١٣) وكان ارتقاء وليام للعرش في فترة عصيبة مليئة بالاضطرابات الداخلية والمشاكل العرقية والتهديدات الخارجية ، لكنها تفاقمت في عهده بسبب عجزه الكبير ، وعدم أهليته ، وشكه في المحيطين به ؛ لدرجة جعلت بعض المؤرخين يشيرون إلى أنه أصيب بجنون العظمة الذي يعرف حديثا باسم البرانويا . كما كان كسولا غير قادر على الاضطلاع بأمر دولته بشكل فاعل، ومما عرف عنه أنه كان يميل إلى حياة الدعة في القصور بين الحرم، وكان كوالده يجب مناقشة المسائل الفلسفية مع العلماء البيزنطيين والمسلمين وهذا صرفه كثيراً عن شئون مملكته أو أنه استخدم أساليب غير ملائمة في الحكم^(١٤)، اعتمد فيها بالدرجة الأولى على رجله الأول مايودي باري^(١) Mayo De Bary الذي ساهم هو الآخر بأساليبه وأفعاله في زيادة موجة الامتعاض من حكم وليام الأول والتمرد عليه من قبل بارونات المملكة ، ذلك التمرد الذي انتهى بمقتل مايو دي باري، فعهد وليام بالحكومة إلى ثلاثة من وزرائه ، وعاش فيما يشبه العزلة حتى مقتله في عام ١١٦٦م/٥٦٢هـ .^(١٦)

أما وليام الثاني فقد تولى الحكم بعد وفاة ابيه وليام الأول ، كانت أمه وصيه عليه لأنه كان مايزال قاصرا ، وعندما تولى الحكم بعد ذلك بمفرده كان يفتقر إلى النشاط الذي تميز به النورمان ، وخلد إلى حياة الراحة والدعة بين الحرم، ورغم ذلك فقد كان سياسيا ثاقب الرأي ، وكان كأبيه ملما باللغة العربية والعلوم العربية ، وهو الذي شيد كاتدرائية مونريال Monreale وقصر Lacuba لاكوبا^(١٧).

لكن عهد وليام الثاني شهد القيام بعدة حفلات متتالية ضد المسلمين في شمال أفريقيا ومصر إذ هاجم الأسطول النورماني دمياط سنة ١١٦٩م / ٥٦٤هـ والإسكندرية سنة ١١٧٤م / ٥٧٠هـ، كما هاجم تونس مرتين الأولى سنة ١١٧٤م / ٥٧٠هـ والثانية سنة ١١٧٥م / ٥٧١هـ ، بل شاركت بعض قطع أسطول وليام أيضا في الحملة الصليبية الثالثة عن الشام (١١٨٩-١١٩٣م / ٥٨٥-٥٨٩هـ)^(١٨).

يتضح مما سبق أن الفترة التي حكم فيها وليام الأول، ثم وليام الثاني كانت فترة تمتاز بالاضطرابات الداخلية والأخطار الخارجية أحيانا، وبالهدوء والسكينة - كما حدث أيام وليام الثاني

- أحيانا أخرى . بينما على الجانب الآخر كان الحكم الفاطمي في هذه الفترة في حالة يرثى لها من الضعف والفوضى ، إذ كانت هذه الفترة تمثل ما عرف بعهد الوزراء العظام ، الذين كان الخلفاء معهم في حالة من الضعف والهزال ، وكانوا مجرد دمي يحركها هؤلاء الوزراء، ولم يكن نفوذ الخليفة الفاطمي يتعد مجرد الدعاء له على المنابر في خطبه الجمعة ووضع اسمه على السكة، بينما استفحل خطر الوزراء ودخلوا في صراعات مع بعضهم بعضا استخدمت فيها كل المناورات والأفعال السيئة للغاية والتي وصلت إلى حد الإقتتال وسفك الدماء، بالإضافة إلى حالة الانكسار العام التي أصابت الجميع بعد فقدان الفاطميين كل نفوذ وممتلكات كان لهم بالشام سنة ١١٥٣/٥٤٨هـ على أيدي الصليبيين خاصة بعد سقوط عسقلان آخر المعاقل الفاطمية هناك ، بل زاد الطين بله أن هؤلاء الصليبيين كانوا يتحرقون شوقا للوصول إلى مصر والسيطرة عليها لتأمين ممتلكاتهم في الشام ، على اعتبار أن مصر خط الدفاع الأول للفاطميين، ومصدر الإمدادات المستمرة للمسلمين المدافعين عن أراضيهم هناك^(١٩).

فهل ساهم هذا الوضع المتدني للبلاد في طمع النورمان فيها، أو على الأقل تحقيق بعض المكاسب والغنائم من خلال مجموعته من الغارات التي لم تستهدف إلا السلب والنهب والتدمير؟ والإجابة على هذا السؤال تدفعنا إلى إلقاء مزيد من الضوء في حجم وطبيعة العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية بين الجانبين علنا نجد فيها بعض الإجابات الشافية.

فيما يتعلق بداية بالعلاقات السياسية بين نورمان صقلية ومصر في تلك الفترة نجد أن كلا من الطرفين كان حريصا على المحافظة على هذه العلاقة واستمرارها، وكان حرص النورمان له مبرراته وأسبابه المتعددة منها: أن مصر كانت إحدى الدول التي تمر بها التجارة سواء كانت من الشرق أم الغرب براً وبحراً، كما سعى النورمان للاستفادة من العائدات المالية الكبيرة من وراء التجارة مع مصر، كذلك من الواضح أن قوة النورمان البحرية التي ظهوروا عليها من أيام روجر الثاني جعلتهم يشعرون بدورهم التاريخي في حماية التجار الأجانب وتحويله إلى حقيقة واقعه ، إذ أن الفاطميين قد شعروا بقوة هذا الأسطول البحري النورماني^(٢٠) وأنهم لا قبل لهم بمقاومته فأثروا السلامة وتجنبوا الاحتكاك به وخاصة في حالة الضعف والتداعي التي كانوا عليها، والدليل الواضح على هذا الخوف الشديد والهلع من قوة الأسطول النورماني يبدو جليا من خلال عبارات الشكر الكثيرة التي جاءت على لسان خلفاء الفاطميين في رسائلهم ملوك صقلية، بعد تحرير مراكبهم من أسر النورمان ،

والذي تم مقابله تحرير أسرى النورمان لديهم^(٢١) المهم في نهاية الأمر أن الاتفاقيات والعلاقات قد عادت بالنفع على كل من الجانبين^(٢٢).

وفيما يتعلق بالعلاقات الاقتصادية، فقد كان الأساس في العلاقة بين الطرفين ، فإذا كان الفاطميون قد حرصوا على هذه العلاقات رغبة في الاستفادة التجارية من ناحية، ورغبة في التخلص من خطر الممالك الأوربية ومن بينها صقلية التي كان الفاطميون يقدرون قوة النورمان بها ولا يريدون أن يكونوا خصوما لها من ناحية أخرى ، وفي ذات الوقت كان النورمان أكثر حرصا على استمرار هذه العلاقات مستغلين موقع صقلية الاستراتيجي ورغبتهم في جعلها نقطة انطلاق مثالية على طريق التجارة بين الشرق الإسلامي والغرب اللاتيني^(٢٣) وكذلك رغبتهم في توفير الاحتياجات المادية من السلع المتنوعة التي يحتاجها أهل الجزيرة، يضاف إلى كل ما سبق حرصهم على تحقيق الثراء الواسع ، والحفاظ على دخل البلاط الملكي بالكامل ، وملئ الخزانة بالأموال الوفيرة^(٢٤).

فيما يتعلق بالسلع والمنتجات التي كان يتم تبادلها بين البلدين مصر وصقلية فقد كان أولها الأرز الذي كان غذاءاً رئيسياً لسكان البحر المتوسط عامه ولسكان صقلية خاصة وكذلك الجبن فقد كان أحد الأطعمة الثابتة لفقراء الناس ، وشاركت جزيرة كريت جزيرة صقلية في تصديره وبصفة خاصة إلى مصر^(٢٥) بينما كانت الزيوت بمختلف أنواعها من السلع التي جرى تصديرها لمصر أيضاً^(٢٦).

يضاف إلى ذلك سلع أخرى تم تبادلها بين الجانبين مثل السكر، والبندق ، واللوز والفواكه مثل الليمون والبرتقال ، وكذلك القصب والنخيل ، وأيضاً المنتجات الحيوانية، إضافة إلى التوابل والفلفل ، والزنجبيل ، و القرنفل وغيرها^(٢٧).

أما المعادن والأخشاب ، فقد أشارت المصادر إلى أن الحديد لم يكن متوافراً في مصر، فجرى استيراد كميات قليلة منه من صقلية^(٢٨) وصدرت صقلية إلى مصر أيضاً الذهب والشب والكحل والعاج والرصاص والحلي والفضة والتوتيا وكذلك أحجار الكهرمان^(٢٩).

ولما كانت الأخشاب المحلية في مصر لا تكفي لصناعه السفن اللازمة للأسطول البحري فقد جرى استخدام أخشاب الصنوبر المستوردة من صقلية والمغرب^(٣٠)

كذلك كانت صقلية من أهم المساهمين في إنتاج وصناعة الحرير الفاطمية، لإمدادها مصر بما تحتاج إليه من حرير خام^(٣١) كما جلبت مصر من صقلية الكتان والثياب المنقوشه^(٣٢)

والكسوات والملابس الفاخرة كالقلنسوات المصنوعة من الفراء الأسود، كما جرى تصدير بعض أنواع الجلود الجيدة الصنع^(٣٣).

أما فيما يتعلق بالتأثيرات الثقافية المتبادلة بين الجانبين فقد ظهرت بداية بشكل واضح في التأثيرات الإسلامية العربية على ملوك النورمان في صقلية مثل:

اتخاذ ملوك النورمان بعض الألقاب العربية ، فوليام الأول حمل لقب الهادي بالله، أما وليام الثاني فقد حمل لقب المستعز بالله^(٣٤)، وكان هذان الملكان يتحدثان العربية بطلاقة، كما أن الحرس الخاص بوليام الأول كان به بعض السودانيين تحت إمرة قاده مسلمين^(٣٥)، ولم يخلج هذان الملكان من إطلاق بعض العبارات العربية على حداثتهم ومبانيهم مثل "بسم الله الرحمن الرحيم، قف وانظر فسترى عملاً رائعاً يخص أحسن ملوك الأرض ، وليام الثاني"^(٣٦).

يضاف إلى ما سبق أن ساد النورمان في صقلية احتفظوا بالدواوين التي نقلوها من القاهرة عاصمة الدولة الفاطمية تأثراً بأولئك الفاطميين ملف ديوان الطراز، وديوان المظالم ، وديوان التحقيق المعمور^(٣٧).

كما ظهر بعض علماء وأدباء المسلمين في صقلية من الذين عاشوا وعملوا بها خلال الحكم النورماني ، وإن كانوا قليلي العدد بصفه عامه^(٣٨).

يتضح من كل ما سبق أنه كان هناك تأثيراً بالثقافة العربية الإسلامية عند ملوك صقلية النورمان في شتى النواحي مثل نظم الحكم والأدارة والألقاب وغيرها، يضاف إلى ذلك وجود علاقات اقتصادية وتجارية متنوعة بين نورمان صقلية ومصر. فما الدافع لمثل هذه الغارات ؟ لا نستطيع الإجابة بشكل صريح على مثل هذا التساؤل ، والحل أن نستعرض تفاصيل تلك الغارات وبالأخص تلك التي اتجهت إلى مدينة تنيس فقد نجد ضالتنا المنشودة أو نجد تفسيراً مرضياً لأسباب اندلاع هذه الغارات وأهدافها.

أولاً : غارة نورمان صقلية على تنيس ١١٥٤ م / ٥٤٩ هـ: تضاربت روايات المصادر العربية حول توقيت حدوث هذه الغارة ، فابن الأثير جعلها في عام ٥٤٨ هـ/١١٥٣م، فيما أشار ابن القلانسي إلى وقوع هذه الغارة في جمادى الأولى عام ٥٤٩ هـ/١١٥٤م، ونقلها عنه أبو شامة، بينما أشار المقرئزي إلى أن هذه الغارة كانت في جمادى الآخرة سنة خمسين وخمسمائة للهجرة الموافق لسنة ألف ومائة وخمس وخمسون للميلاد^(٣٩).

ونحن نميل إلى رأى ابن القلانسي لقربة من الأحداث من ناحية ، ولأنه أشار من ناحية اخري إلى قيام الأسطول المصري بغزو السواحل الشامية في العام التالي ٥٥٠ هـ / ١١٥٥ م حيث أغار على ميناء صور، وجعل ما قام به الأسطول الفاطمي ردا على الغارة الصقلية في العام السابق ٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م^(٤٠).

هذا التناقض في المصادر العربية جعل أحد المؤرخين المحدثين يشير إلى أن هذه الغارة استمرت لمدة عام من مارس ١١٥٣ م إلى ١٧ مارس ١١٥٤ م وهو زعم غريب ليس له ما يبرره وليس هناك أدلة أو شواهد تؤكد ، خاصة وأن هذه الغارات والغارات الأخرى التي تلتها كانت غارات سريعة عنيفة القصد منها السلب والنهب والحصول على أكبر قدر من الغنائم في أقل وقت ممكن^(٤١).

ومما يجدر ذكره أن بعض المؤرخين قد ربطوا بين نجاح النورمان في هذه الغارة ، وما حصلوا عليه من غنائم بعدها، وبين نجاحهم في العام التالي ١١٥٦ م / ٥٥١ هـ في إلحاق هزيمة ساحقة بالبيزنطيين في معركة نيجروبونت Negroponte^(٤٢)، حيث أشار المؤرخ البيزنطي كيناموس Kenamos إلى التفوق العسكري النورماني، وقوة الأسطول البحري سواء في عدد السفن أو تعداد القوات النورمانية^(٤٣) وهذا التزامن في تاريخ الغارتين يوحي بأن الانتصار البحري الكبير على البيزنطيين في نيجروبونت تم بعد عودتهم من مصر بفترة وجيزة^(٤٤).

واتصالا بما سبق من الممكن افتراض قيام الأسطول النورماني بغارتين على مدينته تيسس وليس غاره واحدة ، وأن أحد هاتين الغارتين أغفلتها كل المصادر العربية ما عدا المقريري^(٤٥).

أياما كان الأمر فالثابت تاريخيا أن هذه الغارة الأولى وقعت بالفعل في عام (٥٤٩ هـ - ١١٥٤ م) في عهد الخلفية الفائز بنصر الله ٥٤٩ - ٥٥٥ هـ / ١١٥٤ - ١١٦٠ م. كما ذكرنا سابقا وأنها توجهت في البداية إلى مدينة تيسس، وكان واليها آنذاك رجل يدعى الأوحى بن تميم ، وهو من كبار الأعيان، ونظرا لخوف الصالح طلائع بن رزيك منه ومن قوته فقد نقله من تيسس ودمياط إلى أسيوط وأخيم بعد ذلك^(٤٦).

أما باقي تفاصيل هذه الغارة فتشير إلى أن سفن الأسطول النورماني كان عددها حوالي ستين سفينة^(٤٧) وصلت إلى دمياط أولا فعات فيها النورمان فسادا وقتلوا كثيرا من الأهالي ، ثم اتجهوا بعد ذلك إلى تيسس وأنزلوا بأهلها أشد الإيذاء، خاصه وقد دخلت سفن الأسطول الصقلي المدينة على حين غفلة من أهلها- الذين لم يكن قد وصلتهم بعد أنباء سقوط حاميه دمياط

واستسلام أهلها- فقتلت وأسرت وسبت ونهب المدينة تماما طيلة ثلاثة أيام ثم تركتها بعد ذلك قاعا صفصفا، بل غنم رجال الأسطول الصقلي كل ما كان بالمدينة من غنائم كثيرة^(٤٨). بينما أشار غيره من المؤرخين إلى كثرة السبايا من هذه المدينة، والذين بيعوا رقيقا وكذلك كل ما نهب في بلاد الشام ، كما أن الأسطول النورماني عاد محملا بالذهب والفضة والثياب القيمة وهو أمر يتفق وشهرة تيس الخاصة بالمنسوجات الفخمة^(٤٩).

ومن أغرب وقائع هذه الغارة أن النورمان أسروا الأقوياء، وقتلوا الضعفاء، فهل يمكن اعتبار أسر الأقوياء من أهالي تيس لاستخدامهم في المبادلة إذا ما نجح الأهالي في أسر بعض جنود النورمان ، أو أن هذه المبادلة كانت لأسرى من تجار صقلية وقعوا من قبل في أيدي سلطات تيس ؟ وهل كان هؤلاء الأقوياء من الصناع وبالتالي حاول النورمان الاستفادة من عدم قتلهم فنقلوهم أسرى وأحياء إلى جزيرة صقلية، خاصة أن عاداتهم سمحت لهم أن يفعلوا هذا مع البيزنطيين في مواقف سابقة^(٥٠) أما عن مصير باقي أهالي تيس فإن من نجح في الهرب فقد سلم، خاصة وقد لاذ كثير منهم بالبحر خوفا وهلعا ثم عادوا بعد رحيل الأسطول ، ومن بقي فقد ضاقت صدورهم وحزنوا حزنا شديدا لما أصاب مدينتهم، كما ذكرت المصادر الأخرى أن الأسطول النورماني تحرك بعد هذه الأحداث الدامية إلى رشيد والإسكندرية^(٥١) وعندما سمع النورمان بقرب قدوم الأسطول الحربي المصري ولوا الأدبار هارين^(٥٢).

والملاحظ أن معظم معلوماتنا عن هذه الغارة وما يتلوها من غارات جاءت من خلال المصادر العربية ، بينما لا أثر لهذه الغارة في المصادر اللاتينية، فكتاب فالكاندوس **Falcandus** الذي خصصه للحديث عن حياة وليام الأول وأعماله ، كان جل تركيزه منصبا على الأحوال الداخلية لنورمان صقلية- في عهد هذا الملك - بصفة خاصة ، دون إبراز أي اهتمام بسياساتهم الخارجية فيما يخص علاقاتهم بمصر الفاطمية وهو أمر يثير الدهشة والاستغراب لأن نفس المؤرخ تحدث بشيء من التفصيل عن علاقات نورمان صقلية في عهد وليام الأول بكل من البيزنطيين والقوى الإسلامية في الشمال الإفريقي^(٥٣) فهل كان ذلك لجهله بأحداث مصر في تلك الفترة، أم عدم تقديره لقيمتها ومكانتها مع علمه بحالة الضعف التي تمر بها؟ الأمر يبدو محيراً ولا نستطيع أن نصل فيه إلى رأي واضح وإن كان الأقرب هو أنه لم يكن يعرف مصر وليس له أي دراية بجغرافيتها وأنه لم يزرها من قبل أو بعد.

ثانياً : غارات نورمان صقلية على تيس عامي ١١٧٥ و ١١٧٧ م / ٥٧١ و ٥٧٣ هـ:

في هذه الفترة الثانية للغارات كانت الدولة الفاطمية قد زالت من الوجود تماما في سنة ١١٧١م/٥٦٧ هـ، وتولى حكم مصر بعد ذلك صلاح الدين الأيوبي الذي نجح في تأسيس الدولة الأيوبية والتي صار عليها أن تتصدى للصليبيين والنورمان وغيرهم من أعداء البلاد^(٥٤).

على الجانب الآخر فإن هذه الفترة الثانية من الغارات تمت في عهد ملك النورمان وليام الثاني (١١٦٦ - ١١٨٩ م / ٥٦٢-٥٨٥ هـ) ابن الملك وليام الأول- الذي كان قد توفي عام ١١٦٦ م / ٥٦٢ هـ، ويعرف وليام الثاني في التاريخ بوليام الطيب ، وكان عمره حين تولى العرش لا يتعد أربعة عشر عاما، ولذا فقد بدأ حكمه الحقيقي في عام ١١٧١ م / ٥٦٧ هـ، حيث كانت الخمس سنوات الأولى من حكمه في وصاية والدته مارجريت Margrate^(٥٥).

بدأ وليام الثاني نشاطه ضد المسلمين عامه بتوجيه أساطيله وحملاته عبر البحر المتوسط - رغم معارضة بعض وزرائه له - وكان من بين هذه الحملات تلك التي تكررت على سواحل مصر فأغارت أساطيله أولا على دمياط سنة ١١٦٩ م / ٥٦٥ هـ، ثم أغارت على تينيس مرتين في الفترة ما بين ٥٧١ و ٥٧٣ هـ / ١١٧٥ و ١١٧٧ م^(٥٦).

بالنسبة لغارة ٥٧١ هـ / ١١٧٥ م ، فقد وصل إلى مدينة تينيس حوالي أربعين شانية من شواني صقلية ، وفرضوا عليها حصارا لمدة يومين ثم اقلعوا عنها^(٥٧).

بالنسبة لغارة سنه ٥٧٣ هـ / ١١٧٧ م فقد حدثت معركة ضارية شارك فيها أربعين شينيا صقليا وبعد يومين من القتال تمكنوا من السيطرة على تينيس، وكان القائد المسلم المدافع عن تينيس آنذاك يدعى محمد بن إسحاق الذي كان النورمان قد قطعوا عليه طريق العودة إلى سفنه هو ورجاله ، فتقهقر إلى مصلى بالمدينة على الطريق أو إلى مكان خلاء يؤدي فيه الصلاة ، وعندما جن الليل انقض على النورمان بالمدينة وهم في حالة من النشوة بما حققوه وما سبوه وحصلوا عليه من الغنائم ، وهم في هذه الحالة لم يتوقعوا أن يهاجمهم أحد من سكان المدينة، بيد أن محمد بن اسحاق نجح من خلال هذا الانقضاض في القويض على مائة وعشرون رجلاً منهم وقطع رقابهم ، فلما استفاق النورمان طاردوه حتي المصلى مرة أخرى ، وقاتلوه بضراوة لكنه تراجع ومعه بعض أصحابه إلى دمياط هربا، بينما بقي سبعون آخرون من أصحابه يحاربون في المصلى ، وكان طبيعيا أن تحصدهم سيوف النورمان، ومن بقي منهم حيا سار معهم إلي دمياط، ثم عاد النورمان إلى تينيس مرة أخرى وألقوا عليها النار فأحرقوها. وخرجوا منها بكثير من الغنائم التي امتلأت بها أيديهم والعديد من

الأسري الذين ظفروا بهم خلال إقامتهم التي استمرت أربعة أيام في تينيس ، ومن هناك ساروا في طريقهم إلى الإسكندرية بهدف الإغارة عليها أيضا^(٥٨) .

يتضح مما سبق أن مدينه تينيس كانت القاسم المشترك في تلك الغارات النورمانية الثلاث، والتي على أثرها تعرضت المدينة للتدمير والتخريب والسلب والنهب أكثر من غيرها من مدن مصر الشمالية الأخرى التي نالتها بعض آثار تلك الغارات . وهنا يثور تساؤل عن السر في استهداف هذه الغارات لتينيس وتركيزها عليها أكثر من غيرها بشكل واضح.

حقيقة الأمر فإن هذا يعود إلى أهمية المدينة من الناحيتين الحربية والتجارية، وهذه الأهمية جعلتها تتعرض لتلك للمخاطر التي جعلت حكام المدينة يعنون كل العناية بتحصينها وتزويدها بالحاميات التي تدافع عنها، بل الأكثر من ذلك أهمية أن السفن الحربية المصرية المشحونة بالآلات والأسلحة كانت تمر من أربعة ثغور مصرية كانت تينيس واحدة منها وهذا أكبر دليل على مكانتها الحربية^(٥٩) .

أما الشهرة التجارية لتينيس فتعود إلى أن موقعها يمتاز بالتوسط بين مواني مصر الشمالية الشرقية في العصور الوسطى ، الأمر الذي أكسبها دورا هاما قامت به خير قيام في تجارة مصر الخارجية، وصارت من خلاله أيضا أهم الموانئ المصرية المرتبطة بالمواني الشامية ومواني شرقي البحر المتوسط. يضاف إلي ما سبق مانقله الدكتور إيمن فؤاد سيد عن المخزومي في قوله أن تينيس كانت واحدة من المدن المهمة التي تستأدى عندها ضريبة الخمس ، مثلها في ذلك مثل دمياط والإسكندرية رغم قلة المترددين عليها والأكثر وضوحا من ذلك أن تينيس كان يعقد بها بيع بالمزاد العلني للبضائع الواردة عليها يعرف "بمعلق الخمس"^(٦٠) وقد أشار اليعقوبي إلى أنها كانت مركز أو مرسى المراكب الوارده من الشام والغرب^(٦١) .

كذلك ساهمت شهره تينيس الصناعية وتخصصها في صناعة المنسوجات في زيادة مكانتها التجارية ، فقد كان معظم أهلها من الحاكة، وكانوا مياسير وذو ثراء عريض^(٦٢) وقد ذكر ابن بسام محتسب المدينة أنه كان في عهده من دور الطراز بها حوالي خمسة آلاف دار، يعمل بها عشرة آلاف عامل ، سوى من يطيب أو يرقم من ذكر أو أنثى^(٦٣) وقد أنتجت مصانع تينيس ثياباً لم يكن لها نظير في الدنيا. وقد يكون من أسباب الهجوم النورماني المتتالي عليها رغبة النورمان في الحصول على أكبر قدر ممكن من تلك المنسوجات عاليه القيمة جيدة الصنعة^(٦٤) .

من الناحية الحربية فبحكم موقع تنيس كجزيرة وسط بحيرة تنيس فقد كانت قاعدة مهمة للأسطول الإسلامي ، وكانت تعتمد على الأسطول في الدفاع عن نفسها، وقد ذكر ناصر خسرو أنه شاهد جيشاً كاملاً بالأسلحة مقيماً في ال مدينة ، وكان هذا الجيش عبارة عن حامية عسكرية مستديمة، قد تكون فعلاً من أسباب زيادة الإغارات النورمانية عليها^(٦٥). وقد أشار الإدريسي إلى أن بحيرة تنيس من عوامل حصانة المدينة لأنها تشغل مساحة ثلاثمائة ميل، وبها خمسين جزيرة ينبت فيها قصب الغاب كما تتصل الجزيرة بعدد آخر من البحيرات الصغيرة التي تزيد من حصانة المدينة^(٦٦).

هذا الموقع الاستراتيجي ذو الحصانة والموقع الجزري الذي يتوسط موانئ مصر الشمالية الشرقية جعلها تلعب دوراً مهماً في تاريخ مصر السياسي والحربي ، وهو دور أجمعت على أهميته المصادر حتى لاقت المدينة مصيرها النهائي في العصر الأيوبي ، وهو نفس الدور الذي وجه أنظار العالم الغربي المعادي لمصر ومنه النورمان بطبيعة الحال ، مما جر عليها الغزو الأجنبي الذي عاد عليها بالخراب والتدمير^(٦٧).

ونظراً لخطورة موقع المدينة وأهميته انتدب السلطان صلاح الدين عام ٥٧٧ هـ / ١١٨١ م لعمارة تنيس وتحديد الآلات بها بعض عماله وخاصه عندما اشتد خوف الأهالي من الإقامة فيها، فأمر بعمارة سورها القديم على أساساته الباقية ، إلا أنه بعد ذلك لم يجد مفراً من إخلاء المدينة ونقل أهلها إلى دمياط، في شهر صفر سنة ٥٨٨ هـ / ١١٩٢ م، حيث أخليت المدينة من الذراري والأثقال ولم يبق سوء المقاتلة في قلعتها. وكان إخلاء المدن أمام هجومات الأعداء سياسة عسكرية دفاعية صار عليها حكام الأيوبيين وأولهم صلاح الدين^(٦٨).

أما مصير المدينة النهائي -النابع من خطورة موقعها وتعرضها الدائم للغارات الصليبية وغارات نورمان صقلية - فقد كان في عهد الملك الأيوبي الكامل ناصر الدين محمد (٦١٥-٦٣٥ هـ / ١٢١٨ - ١٢٣٨ م) إذ أمر في شوال من عام ٦٢٤ هـ / ١٢٢٦ م بدم المدينة تماماً، فاستمرت خراباً ولم يبق منها إلا رسوماً وسط البحيرة ، وظلت المدينة بعد اندراسها مجرد أنقاض سجلت بمصلحة حفظ الآثار العربية ١٩١٠ م^(٦٩). ولقد أشار أحد المؤرخين المحدثين تعليقا على ما حدث للمدينة من تخريب بأن العامل الجغرافي قلل من أهمية تنيس ثم قضى عليها العامل التاريخي، ذلك أن تحول بحيرة تنيس إلى بحيرة ضحلة بالتدريج منع السفن الكبيرة من الوصول إليها وهو ما جعل الكامل ورجاله يقررون هدمها إلى الأبد^(٧٠).



خريطة تنيس في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي

من كل ما تقدم وبعد أن استعرضنا أشكال العلاقات بين نورمان صقلية وحكام مصر من الفاطميين والأيوبيين، وبعد تعرفنا على أسباب توجه هذه الغارات إلى مدينة تنيس بالذات لم يبق أمامنا سوى محاولة البحث والتقصي عن الأسباب والدوافع الحقيقية التي قامت بسببها تلك الغارات.

يمكن إجمال أسباب ودوافع قيام تلك الغارات في الأمور التالية:

أولاً: الطموحات النورمانية التوسعية الكبرى :

كانت هذه الغارات جزءاً من سياسة التوسع التي سعى إليها روجر الثاني في أحلامه^(٧١) وتبناها أولاده من بعده، خاصة وهم أبناء جنس مشاغب سعى دائماً للبحث عن مجالات جديدة للمجد والتوسع، واعتمد في طموحاته الكبيرة هذه على سياسة مؤداها الاستفادة من كل العناصر التي كانت موجودة في جزيرة صقلية قبل وصولهم، فلم يرفضوا شيئاً من حضارة المهزومين. وهذا المذهب التوفيقي بين الحضارات وتسامح حكام النورمان في صقلية مع أتباعهم كان اللبنة الأولى من لبنات التوسع النورماني، وصولاً إلى مزيد من السيطرة والتسلط، رغم أن وليام الأول كثيراً ما كان يفكر في مشروعات بعيدة لا طائل منها^(٧٢)، مثل هذه الغارات غير المبررة والتي أنفق وقوعها مع الخطة التي نفذها رجاله بعد وفاة روجر الثاني بأربعة شهور فقط وكان هدفها ضرب المعادل الإسلامية ومنها تينيس بالطبع^(٧٣).

لكن رغم هذه السياسة التوفيقية، فقد كان التعصب الديني والعرقى من جانب حكام صقلية من النورمان واضحاً كما أنه يتماشى مع الطابع العام لتلك العصور الوسطى، ذلك التعصب الذي دفعهم دفعا إلى محاولة الاستفادة من حالة ضعف الدولة الفاطمية وحكامها، ورغبتهم في استمرار سياسة المسالمة والود مع النورمان تلك السياسة النابعة من عدم قدرتهم على مقارعة كفاءة وقدرات النورمان البحرية والحربية، وبهذا توافرت لأولئك النورمان الظروف المواتية التي مكنتهم من بداية حريهم التوسعية على حساب المسلمين وأولهم الفاطميون في مصر^(٧٤).

وفيما يتعلق بتلك الطموحات أيضاً نجد أن الحكام النورمان في صقلية كان غرضهم بناء أسطول كبير، والاحتفاظ بجيش قوي لمقاومة أعدائهم، وانتهاز الفرص لمزيد من الانتصارات والحصول على ممتلكات جديدة والهدف في النهاية واضح وهو التوسع بما يحقق لهم مزيد من الرفاهية، ومن تلك الفرص التي انتهزوها أو خلقوها لانفسهم الإغارة على تينيس^(٧٥).

ومن قبيل هذه الطموحات التوسعية أيضاً حرص حكام صقلية النورمانيين على تأمين مواصلاتهم البحرية، لضمان وصول متاجر الشرق التي يحتاجونها، وفي هذا الخصوص عملوا على ضرورة تأمين الإبحار النيلي لمراكبهم وبضائعهم التي استوردوها من الشرق البعيد أو من الهند، خاصة وهي تمر عبر نهر النيل على مراكب شراعية توصلها إلى البحر المتوسط لتحملها سفن النورمان الكبيرة إلى صقلية^(٧٦) ولذا كان تمسكهم بالقيام بتلك الغارات على تلك المدن الواقعة على نهر

النيل مثل تيس وغيرها ضرورة ملحه بين الحين والآخر وهذا افتراض صدق عليه وأكده حرصهم على مصالحهم التجارية مع مصر وشرق البحر المتوسط، كما سبق أن ذكرنا^(٧٧).

ثانياً : كانت الغارات جزءاً من استراتيجية النورمان الحربية والسياسية في شمال أفريقيا:

هذا الأمر متصل بموضوع الطموحات التوسعية السابقة، فقد كانت كل من صقلية وشمال أفريقيا منطقة أمان للأخرى وامتداد لها في الجوار، كما كانت كليهما موقعا استراتيجيا على جانب كبير من الأهمية في البحر المتوسط، وبالمثل كان نشاط أي قوة منهما يمثل تهديداً مباشراً لنشاطات الأخرى وممتلكاتها فعندما نجح النورمان في إنشاء رأس كوبري من صقلية في شمال أفريقيا أحكموا قبضتهم على البحر المتوسط تماماً، بل أعدوا العدة لقطع الصلة بين الفاطميين في بلاد المغرب والفاطميين في مصر، لكن رحيل روجر الثاني ساهم في اضمحلال وتهيوي تلك الممتلكات النورمانية في ذات المنطقة^(٧٨).

كذلك ساهم ظهور الموحدون (٥٤١-٦٦٨هـ / ١١٤٧-١٢٦٩م) كقوة لها تأثيرها على مجري الأحداث في شمال أفريقيا في زيادة قلق كل من وليام الأول ووليام الثاني اللذين كان لديهما الرغبة في تنصير مسلمي جزيرة صقلية واليهود الذين كانوا بها أيضاً. لكن تعصب وليام الأول بالذات ساهم في سوء التعامل مع المسلمين بالجزيرة إلى حد التنكيل بهم، مما دفعهم إلى الاعتصام بالغابات والجبال بمدن الجنوب ذات الأغلبية المسلمة^(٧٩) وإن كان بعض المسلمين هناك قد اضطروا تحت وطأة هذا الضغط إلى العمل في الجيوش النورمانية، وقد يكون بعض هؤلاء كمن عملوا كأدلاء لهم أرشدهم على بعض المناطق الإسلامية التي هاجمها، وقد يكون من بينها بالطبع تيس، حيث أشارت بريك Brik إلى أن بعض المسلمين قد ساهموا في العمليات العسكرية والمغامرات التي قام بها النورمان خارج الجزيرة^(٨٠) بل أن فالكندوس نفسه أشار إلى بعض المهندسين العسكريين من العرب المسلمين الذين عملوا لدى النورمان بل وصنعوا لهم المجانيق وأبراج الحصار المتحركة^(٨١).

وفي سياق هذا الإطار أيضاً يمكن اعتبار الغارات النورمانية على تيس استمراراً طبيعياً تلقائياً للانتصارات الأخرى الذي أحرزها النورمان في شمال أفريقيا^(٨٢).

والجدير بالذكر أيضاً ، وفي إطار سياسة النورمان التوسعية في شمال أفريقيا بدا واضحاً أنهم رغبوا في إرهاب هؤلاء السكان ، و معهم سكان مصر من المسلمين من وراء هذه الغارات وكذلك اختبار مدى قوة دفاعاتهم ، والدليل على ذلك ما أشار إليه أبو العافية من قيام أسطول صقلية بفرد

إتاوات على كل الموانئ التي يسافرون إليها سواء كانت خاضعة لهم أم لا، وذلك على كل الطرق والمضايق علي طول البحر المتوسط^(٨٣) كذلك فقد كان من ضمن أهداف هذه السياسة النورمانية في شمال أفريقيا - من خلال استخدام أساطيلهم البحرية القوية - الحصول على المزيد من المكاسب التي عجزوا عن الحصول عليها بالطرق السلمية^(٨٤).

ثالثاً: تطوير المصالح التجارية والرغبة في إزالة عوائق التبادل التجاري، في حوض البحر المتوسط بكامله:

حرص النورمان على التوسع في شمال أفريقيا، وإرهاب القوى الإسلامية القريبة من جزيرة صقلية لحماية مصالحهم التجارية وتطويرها بما يؤدي إلى جعل صقلية قوة فاعلة في البحر المتوسط، تمكنهم من فرض نفوذهم على مداخل ومخارج هذا البحر^(٨٥).

في ذات الوقت أيضاً ورغم أن الحكومة الفاطمية كانت في أواخر عهدها إلا أنها تخلت عن سلبيتها وحاولت استعادته سيادتها الإسلامية السابقة على البحر المتوسط، وكان من أهم الإجراءات التي لجأت إليها في هذا الخصوص تقليل فتح موانئها وعاصمتها للتبادل التجاري مع الغرب، وتقليص الامتيازات التي تمنحها لتجار تلك الدول الغربية في البحر المتوسط، بل الأكثر من ذلك أنها قصرت نشاطها التجاري وحددته في مدن بعينها هي الإسكندرية ودمياط، وقد تبلورت هذه السياسة الحاسمة ما بين عامي (٥٤٩ - ٥٥٢ هـ / ١١٥٤ - ١١٥٧ م) أو ما بعد ذلك بقليل، والملاحظ أن الغارة الأولى على تينيس حدثت في غضون تلك الفترة، لكن يمكن القول إجمالاً أن العصر الفاطمي كان يتسم بتسامح مع التجار الأجانب لم يشاهد فيما بعد، وهو عصر اتسم بالفتوح والحرية^(٨٦) وما هكذا كان الحال عندما جاء صلاح الدين الذي اتخذ عدة تدابير لتقييد حرية تنقل التجار في داخل البلاد، منها أنه قضى على أمل الغرب ومنهم بالطبع النورمان في الحصول على فندق بالقاهرة كما وعدهم الخليفة الفاطمي من قبل عام ٥٤٩ / ١١٥٤ م^(٨٧).

والسؤال هنا، هل كانت هذه القيود سبباً في مضايقة نورمان صقلية؟ واقع الأمر أن رغبة للنورمان في إحداث ضغط لحماية تجارتهم في الشرق يؤكد فعلاً أنهم شعروا بالضيق من هذه القيود بل ورغبوا في كسرها^(٨٨) وفي هذا الخصوص يعتقد أماري أن الحروب النورمانية التي اشتعلت ضد الفاطميين وبالتحديد بعد وفاة روجر الثاني كان الدافع لها هو التجارة، ومحاوله الفاطميين إلغاء الامتيازات التجارية التي حصل عليها النورمان من قبل بسبب تدخلات بيزا وغيرها من المدن التجارية الإيطالية^(٨٩).

لكن في نهایه المطاف نجح نورمان صقلية في السيطرة على طرق التجارة في البحر المتوسط ، وزادت قدرتهم على تحسين أداء المواني الصقلية وإعدادها لاستقبال السفن التجارية ، عن طريق بناء مستودعات ضخمة بما لتخزين البضائع ، وبدا نجح النورمان في القضاء علي السيطرة الإسلامية على هذا البحر الذي صار بحيرة نورمانية، ومن خلال ذلك سعوا لكسب المزيد من الإمتيازات التجارية في الشرق .^(٩٠)

لكن هذا التطور سيقودنا بالتأكيد للحديث عن القوى المنافسة للنورمان سياسياً وتجارياً مثل الإمبراطورية البيزنطية، والمدن الإيطالية وبخاصة بيزا، ودورها في إفساد العلاقات بين صقلية ومصر .

رابعاً: دور القوى السياسية الأخرى المنافسة في إفساد العلاقات بين نورمان صقلية وحكام مصر:

رغم العلاقات السلبية التي جمعت بين نورمان صقلية وحكام الشمال الأفريقي إلا أن النورمان على الجانب الآخر كانوا حريصين على احترام تعهداتهم معهم حتى يتسنى لهم تحقيق سيادتهم الكاملة على البحر المتوسط سواء كان ذلك بالقوة أو بالعلاقات السلمية ، بيد أن هذا الأمر أقلق القوى الأخرى المنافسة النورمان والمتواجدة في هذا البحر، وهي القوى التي لم يكن من مصلحتها تزايد السيطرة النورمانية، ولذا سعت جاهدة لمحاولة تفويض هذا التفوق وهز أركانه بالحروب المباشرة تارة، وبإفساد علاقات النورمان بالعالم الإسلامي المتمثل في الشمال الأفريقي ومصر تارة أخرى^(٩١).

ففيما يتعلق بالدولة البيزنطية فقد اتخذ أباطرتها إجراءات مباشرة ضد النورمان دراء لخطرهم، فقاموا كثيراً بحشد وتعبئه مستمرة لجيوشهم في منطقته الأدرياتيك من جهة، و لجأوا إلى مضايقة النورمان والحد من قوتهم وسيادتهم البحرية بطرق غير مباشرة من جهة أخرى ، وذلك عن طريق التقرب من الفاطميين في مصر ومحاولة تقليل حماسهم النورمان والحد من الامتيازات التي منحوها لهم، والدليل على ذلك أن المعاهدات التي عقدت بين الدولة البيزنطية والفاطميين تضمنت - من ضمن ما تضمنته - ألا يقدم الفاطميون أية مساعدة لصاحب صقلية في حربه ضدهم . ولم يكتفوا بذلك بل وصل الأمر إلى حد طلب المساعدة المباشرة من الصالح طلائع بن رزيك الوزير الفاطمي لنجدتهم من صاحب صقلية وما فعله بهم^(٩٢).

ولا شك أن طلب المساعدة هذا يعد واحدا من الأدلة التي تؤكد قيام النورمان بالغزو والإغارة على المدن والموانئ المصرية ومنها تنيس بالطبع، فهذا الطلب بالتحديد كان في عام ٥٥٣ هـ / ١١٥٨ م أي بعد الغارة الأولى سنة ١١٥٤ م / ٥٤٩ هـ بأربع سنوات، وقبل الغارة الثانية سنة ١١٧٥ م / ٥٧١ هـ وما تلاها من غارات. بما يعنى أن قيام النورمان بالإغارة على تنيس يمكن أن يكون رد فعل لهذه المساعدات والمراسلات ، رغم أن المصادر لم توضح لنا ما إذا كان الفاطميون قد التزموا بهذه التعليمات والتحذيرات البيزنطية ام لا، أو إذا كانوا قد قدموا مساعدات فعلية للبيزنطيين في هذا الخصوص (٩٣).

أما بالنسبة للمدن التجارية الإيطالية وبصفة خاصة بيزا ودورها في تقويض العلاقات بين نورمان صقلية وحكام مصر من الفاطميين ، والذي بدا واضحا من خلال هذه الغارات على تنيس وغيرها من مدن مصر. نقول إن موقع جزيرة صقلية الاستراتيجية، والنجاحات العسكرية الفائقة للنورمان والتي مكنتهم من السيطرة على الطرق البحرية الهامة كان أمرا شديدا الوطأة على البيازنة، فدخلوا في حرب مباشرة مع النورمان، لكنها كانت سجالا ولم تسفر عن تفوق أحد الطرفين على الآخر (٦٤) هنا كان الحل البديل لحكومة بيزا هو توسيع نطاق علاقاتهم بالحكام الفاطميين في مصر، رغم حالة عدم الاستقرار التي كانت عليها العلاقات بين البلدين في الفترة السابقة لفترة الغارات النورمانية. ولهذا فقد اتخذت حكومة بيزا عددا من الإجراءات لتقويه هذه العلاقة مع حكام مصر نذكر منها:

- ١- إيفاد سفير بيزي إلى مصر يدعى رانييري بوتاشي R. Bottacchi في عام ١١٥٤ م / ٥٤٩ هـ، استقبله الخليفة الفاطمي الظاهر استقبالا طيبا، وكان هدف هذه السفارة إزالة بعض العوائق التي تعترض استمرار العلاقات التجارية بين البلدين ، وتسوية بعض المشكلات التي نشبت بين مسافرين من البيازنة وبعض المصريين. وقد نجحت هذه السفارة فيما سعت إليه ، حيث جرى إطلاق سراح بعض سجناء البيازنة مقابل تعهد حكومة بيزا بعدم مساعدة الصليبيين في الشام (٩٥).
- ٢- عقد معاهده صداقة وتجارة جديدة مع مصر وقعت بين الطرفين في مارس ١١٥٥ م / المحرم ٥٥٠ هـ، وبالتالي استمرت العلاقات طيبة بين الطرفين لمدة عامين ، وشوهدت بعض السفن المصرية تتردد على بيزا آنذاك ، والعكس

بالعكس فقد ترددت سفن بنزية في المواني المصرية وحقت مصالح حكومتها التجارية و الدبلوماسية^(٩٦).

عند هذا الحد كانت شكوى النورمان من هذه الامتيازات التي منحت للتجار البيازنة، خاصة في ظل تدهور العلاقات بين النورمان وحكومة بيزا إلى حد حدوث القطيعة بينهما. وتزايدت هذه المخاوف أكثر فأكثر من إصرار بيزا على إحكام سيطرتها على مصر، وهو الأمر الذي لم يتقبله النورمان كما يقول المؤرخ كلود كاهن^(٩٧) فكان ما كان من أمر الغارات التي انطلقت تجاه تيسس وتسويها بالأرض هي وغيرها من مدن الدلتا المصرية. وبالتالي كان هذا سببا في توتر العلاقات المصرية النورمانية وتعيدها مرحلة التخويف وتذكير المصريين بقوه النورمان إلى مرحلة السلب والنهب بشكل واضح وصريح^(٩٨).

خامسا: مدى ارتباط غارات النورمان على تيسس بالحركة الصليبية والصليبيين في الشرق:

عظفا على ما سبق ننتقل إلى جانب آخر مرتبط بالصراع البحري والتجاري بين الشرق والغرب ، وهو مدى ارتباط غارات النورمان على مصر بالحركة الصليبية وهل كانت جزءا منها، أم كانت مجرد محاولات فردية قام بها حكام النورمان لإثبات قدراتهم الحربية القوية من جهة، وقدراتهم على مساعده الصليبيين وجماعات الحجاج المسيحيين القادمة إلى الشرق من جهة أخرى ؟ وهل ما قام به النورمان ساهم بالفعل في تدعيم الوجود الصليبي في الشرق ، أم كان مجرد جهد ضعيف لم يقدم ولم يؤخر ، أو لم يساهم في انتصارات الصليبيين وتفوقهم ؟.

في هذا الجانب نشير بدايه إلى أن صقلية صارت في عهد النورمان نقطة هامة أو محطة رئيسية في طريق الجيوش الصليبية إلى الأراضي المقدسة، بل كانت نقطة التقاء لكثير من المغامرين الصليبيين الذين تواعدوا على المسير إلى الشرق الأدنى ، بل أن هذه الحروب قدمت للنورمان الفرصة الذهبية لتعظيم دورهم والاستمرار في سياستهم التوسعية^(٩٩).

لكن الواقع يشير إلى أن نورمان صقلية كانوا حريصين على مصلحتهم أولا وفق استراتيجية وتقوم على تأمين أنفسهم ، وعدم المجازفة بالتعرض للخطر، ولهذا فلم يكن بمقدورهم تقديم السفن اللازمة للصليبيين لأهميتها في التصدي لأي خطر محتمل يقيق بهم، ولهذا مثلا تقاعس روجر الثاني وانسحب من المشاركة في الحملة الصليبية الثانية ، بل امتنع عن تقديم أي مساعدة باى شكل من الأشكال لأعضاء هذه الحملة ، رغم حرصه الشديد على تأكيد صداقته

مع فرنسا ومثلها في الحملة الملك لويس السابع Louis VII (١١٣٧-١١٨٠ م / ٥٣٢-٥٧٦ هـ) رغبة في عرقلة أي تعاون قد يحدث بينها وبين الدولة البيزنطية العدو اللدود لنورمان صقلية^(١٠٠).

الأكثر من ذلك إقدام نورمان صقلية على الاستيلاء على مدينة المهديّة في هذا التوقيت المتزامن مع الحملة الصليبية الثانية ، وهدفهم إثبات قدراتهم وقدرات مملكتهم الكبيرة أمام القوي الأوربية المشاركة في الحملة ، على أساس أن ما قاموا به يعد حربا صليبية قاموا بها وحدهم ، وأن نجاحهم في السيطرة على هذا المركز البحري العسكري التجاري المهم - الذي طالما هدد جنوب أوروبا ، وأقضى مضاجع البابوية و كانت حريصة على تدميره - ولذا قدم النورمان كل العون للحملة الصليبية التي اتجهت إلى هذه المدينة من ناحية ، وحتى لا يطالبهم أحد بالمساهمة في الحملة الصليبية الثانية، لانشغالهم الكامل بهذه الحرب ضد المهديّة من ناحية أخرى.^(١٠١)

كذلك كانت استراتيجية النورمان تقوم على اعتقاد جازم بأن نجاح المشروعات الصليبية سيؤثر عليهم اقتصاديا، إذ أن التجارة ساعتها ستنتقل من أيديهم إلى أيدي أولئك الصليبيين المنتصرين^(١٠٢).

والسؤال هنا: هل يمكن اعتبار هذه المطامح النورمانية خروجاً على الخط الصليبي ، وهل كانت غاراتهم على تينيس مجرد غارات فردية بقصد السلب والنهب فقط بعيداً عن الحسابات الصليبية، أم أن ذلك كان فقط موقفاً مؤقتاً من قاده الحملة الصليبية الثانية؟

وهناك سؤال آخر أكثر أهميه هو: هل كان دور النورمان في الحروب الصليبية هو دور التابع ، أم دور المشارك الكامل في تلك الحروب ؟ أو بشكل آخر هل يمكن اعتبار هذه الغارات النورمانية على تينيس جزءاً من الاستراتيجية العامة للصليبيين في ضرورة السيطرة على مصر وسحقها باعتبارها رأس الأفعى الذي يجب أن تقطع -على حد قول بعض الصليبيين- حتى يطيب للصليبيين المقام في الشام ، لخطورة موقعها الجغرافي ، وإمكاناتها الاقتصادية الهائلة التي تمد المسلمين في الشام بالمساعدات الممكنة للاستمرار في المقاومة ضدهم ، بل أن بعض الصليبيين قالوا أن الطريق إلى بيت المقدس يبدأ من القاهرة^(١٠٣) ، أم أن هذه الغارات كانت مجرد محاولة للخروج من قزمية الدور النورماني في الحركة الصليبية بصفة عامة؟

الإجابة على هذه التساؤلات لا تصل بنا إلى نتيجة محددة حول دور النورمان في تلك الحركة ، بل أن الإجابات تصينا أحيانا بالتناقض وعدم وضوح الرؤيا، فمن جانب معين ثبت أن

نورمان صقلية كانوا على صلة دائمة بالأمارات الصليبية ، وكانوا كذلك مصدر قوى للإمداد والتمويل في الأزمات التي حاقت بالصليبيين، حيث قدموا كثيرا من الأعانات إلى كنائس وأديرة بيت المقدس^(١٠٤) ومن جانب آخر كان إقدام النورمان على اقتراف جرائم السلب والنهب عمليا في الغارات التي قاموا بها على تيس ، التي كان أغلب سكانها من النصارى، ما يضحد الأدلة التي قدمها المؤرخون الذين وجدوهم كأبطال نصارى غيورين على العقيدة النصرانية الكاثوليكية^(١٠٥).

لقد كان الشرق المسلم الحقيقي يبدو كدرب من السراب بعيد المنال قياسا إلى حجم الحماس الديني ، والأحلام النورمانية التوسعية ولم يتحقق شيء منه أو الأقترب منه إلا في فترة متأخرة في حملة ١١٧٤م على الإسكندرية^(١٠٦)، ولا شك أن خطه القيام بحرب صليبية كانت فكرة داعبت أحلام وليام الثاني، لكنها لم تترجم إلى أرض الواقع ، وإن ظل الأسطول الصقلي بكل بساطة مجرد عامل مساعد على تأمين عبور الصليبيين إلى الشرق^(١٠٧).

ومعنى هذا أن الدور النورماني الحقيقي في الحروب الصليبية كان دورا بطيئا متاقلا متأخرا إلى حد ما، وهذا التثاقل كان له مبرراته التي سقناها من قبل، بيد أنه كان دورا على أية حال، وكانت تلك الغارات على تيس جزءا منه، في إطار سياسة كل من وليام الأول ووليام الثاني لتأمين طريق الحج وخطوط المواصلات إلى الأراضي المقدسة، وهي مساهمة دفعت الملك وليام الثاني أن يطمح في الحصول على لقب الحامي أو المدافع عن الشرق اللاتيني أو الشرق الكائن فيما وراء البحار^(١٠٨).

بل يمكن اعتبار تلك الغارات على تيس وكذلك حروب النورمان الأخرى في شمال أفريقيا - حسب أحد الآراء - نوعا من الحرب الصليبية الموازية قاموا بها و نجحوا فيها، وخاصة مع الفشل الذريع للحملة الصليبية الثانية ، فقد كان الغرب الأوربي ينظر إلى نجاح النورمان في تلك الهجمات بنوع من الإعجاب باعتبارها فتوحا صليبية جديدة في شمال أفريقيا ومصر^(١٠٩).

سادسا : أسباب أخرى ساهمت في قيام تلك الغارات النورمانية على

تيس :

هناك بعض الأسباب الأخرى التي يمكن رصدها وإضافتها إلى الأسباب والدوافع السابقة التي ساهمت في خروج تلك الغارات ومنها:

- ١- دوافع شخصية: تجسدت بشكل واضح في وليام الأول النورماني الذي كانت سياسته تميل إلى العنف والاضطهاد الديني ، والذي عزاه بعض المؤرخين إلى سوء

حالته الصحية ووفاة ثالثة من أولاده خلال تسع سنوات فقط^(١١٠) يرتبط بما سبق
 رغبة وليام الثاني هو الآخر في الانتقام مما حل بالأسطول الصقلي في مياه الإسكندرية
 ١١٧٤م / ٥٧٠ هـ، ولأجل هذا كانت حملاته الأخرى على مصر أعوام ١١٧٥م /
 ٥٧١ و ١١٧٧م / ٥٧٣ هـ المهدف منها السلب والنهب والغنائم^(١١١).

في هذا الإطار أيضاً أشار أماري^(١١٢) إلى أن هذه الغارات قامت بعد وفاة روجر الثاني
 وغياب الحكمة السياسية من القصر النورماني إلى الأبد وهو أمر ارتبط بزيادة الكراهية للمسلمين
 داخل جزيرة صقلية ، وانسحب على المسلمين خارجها، وخاصة المعادين لهم، وقد يكون هذا
 مرجعه إلى طول بقاء المسلمين في صقلية وما تركه من ألم في نفوس سكانها من المسيحيين لدرجة
 جعلتهم عازمين على الوثوب على القوي الإسلامية ومضايقتها أيا ما كانت هذه القوى وأني
 كانت ، والدليل على ذلك أن وليام الأول هدد مسلمي صقلية بأنه سينزل بهم أشد الإيذاء إذا
 ما تعرض رجاله في غاراته الخارجية للقتل، وهذا ما دونه مؤرخه فالكاندوس^(١١٣).

كان من الطبيعي مع هذه الطبيعة المتقلبة غير المتسامحة النورمان ونفسياتهم الطامحة أن
 تكون هذه الغارات في حكم العادة وبالتالي كان لا بد ان يطول الأذى مسلمي شمال أفريقيا
 ومصر، وهو الأمر الذي أثار كثيراً من ضروب الخشية والاستياء لدى سكان هاتين المنطقتين من
 المسلمين فبدأوا يعيدون النظر في أمر علاقاتهم التجارية مع صقلية إلى حد التفكير في تجميدها،
 وهي أمور أثارت أولئك النورمان وجعلتهم حريصين على القيام بالكثير من الغارات الأخرى على
 تنيس وغيرها^(١١٤)

٢- دور الوزراء الأرمن في مصر في محاباة ذويهم من المسيحيين ، وما ترتب عليه من دور
 الوزراء العرب والأكراد المستعربين كرد فعل لمحاباة المسيحيين الأرمن ، فقد كان الوزراء
 العرب أقل تسامحا ومعاملة للمسيحيين وأكثر إحساسا بما تعرضت له هذه الأراضي
 المصرية المسلمة على أيدي القوى الغربية من انتهاكات^(١١٥).

ولا أدل على هذا الأمر من حرص روجر الثاني على بهرام الأرمني وطلبه من الخليفة الفاطمي
 الحافظ أن يفرج عنه، فقد كانت هناك علاقة خاصة بين روجر الثاني وبهرام الأرمني بسبب
 الرابطة الدينية التي تجمعهما من ناحية ، والرغبة المشتركة في التخلص من حكم الفاطميين في
 مصر من ناحية أخرى . ولهذا اعتبر روجر أن بهرام هو المنفذ لسياسته في مصر ورغبته في مد
 نفوذه إليها، وهو ما حدث في عهد ابنه وليام الأول وحفيده وليم الثاني فيما بعد من خلال

غاراتهم على المدن المصرية ومنها تيس بالطبع ، بل واستمرار حملاتهم الحربية المتتالية على مصر وثغورها في وقت كانت الدولة الفاطمية فيه في حالة شديدة من التدهور والضعف والانحلال ، وقد وضع هذا في حالة الرعب والخوف الشديدة التي كانت تنتاب الفاطميين من الفرنج بشكل عام والنورمان بشكل خاص^(١١٦).

٣- محاولات النورمان جلب الصناع المتميزين من مصر ومن غيرها للعمل في صناعة النسيج النورمانية بصفة خاصة ، ومحاوله النهوض بها، وهو أمر يمكن استنتاجه بالقياس التاريخي إذا عرفنا أن النورمان في حملتهم على أثينا وكورنث في عام ١١٤٧م / ٥٤٢ هـ، في عهد روجر الثاني اختطفوا نساخي الحرير في هذه المدن^(١١٧)، وعادوا بهم إلى بالرمو، ليزيد من كفاءة وقدرة مصانعه لإنتاج أنواع عالية القيمة من الملابس الحريرية، وبالتالي كان منطقياً أن يقوم النورمان بتكرار هذا في مناطق أخرى مثل تيس بالذات خاصة مع شهرة أهلها في هذه الصناعة ، وان معظمهم من الحاكة - كما ذكرنا من قبل - وأغلبهم من النصارى وبعض المسلمين المتميزين بهذه الصناعة والذين لم يكن لصناعتهم المتطورة بأنواعها المتعددة ما يمكن أن يدانها في العالم المعروف آنذاك ، كذلك أوردا بن جبير دليلاً آخر في هذا السياق وهو أن المختصين بعملية التطريز في مصانع بالرمو كانوا من مسلمي صقلية^(١١٨). وبالتالي فلم لا يكون هؤلاء الصناع أو حتى بعضهم من بين سكان تيس الذين جرى اختطافهم ونقلهم إلى صقلية، وخاصة مع الإشارات السابق ذكرها عن أن النورمان احتفظوا بأسراهم الأقوياء من سكان تيس الذين وقعوا في أيديهم خلال غارة ١١٥٤م / ٥٤٩ هـ^(١١٩).

٤- يمكن القول كذلك أن نورمان صقلية قد رغبوا في شيء مهم جداً تمتاز به مدينة تيس وهو ملحها الذي وصفه محتسب المدينة ابن بسام التنيسي بقوله "إن ملحها يفوق بضيائه وعذوبته كل ملح وبكثرتة"^(١٢٠). كما أكد المقرئزي هذه الحقيقة بقوله في بعضها ملاحات يؤخذ منها ملح عذب لذيد ملوحته^(١٢١).

٥- تلازمت كل من تيس ودمياط منذ الفتح الإسلامي لكل منهما في شيء مهم أنهما صارتا لهما تاريخ من الغارات المستمرة التي تعرضتا له بدأ على يد البيزنطيين واستمر على يد الصليبيين والنورمان وغيرهم . وذلك رغم حرص وعنايه الحكام المسلمين

لهاتين المدينتين على تحصينهما وتزويدهما بالحاميات التي ترابط للدفع عنهما براً وبحراً
(١٢٢)

ومن هنا فقد كانت هذه الغارات على تنيس امتداداً طبيعياً للغارات على دمياط التي
صارت أكثر أهمية فيما بعد خاصة بعدما ضعف شأن تنيس وتهاوت في نهاية العصر الأيوبي
(١٢٣).

٦- في نهاية الأمر يمكن أن نضيف إلى أن أهداف النورمان من تلك الغارات على تنيس
تعود بشكل كبير إلى ما فرضته أهميتها التجارية والحربية، وخاصة ما يتعلق بسهولة
اتصالها بداخلية البلاد عن طريق بحيرة المنزلة والخليج الواصل من النيل إليها وهو أمر
كان يهم تجار صقلية النورمان وحرصهم الشديد على تجارتهم وبضائعهم الآتية من
الهند والشرق الأقصى التي تصل إلى مواني البحر الأحمر ثم تنقل إلى النيل ومنها إلى
تنيس والفرما وغيرهما من المدن الواصلة إلى البحر المتوسط لنقلها إلى أوربا. وكلها أمور
ساهمت في زيادة مكانة المدينة وأهميتها بالنسبة لنورمان صقلية فحرصوا على أن
يقضوا مضاجع أهلها فيأتون بين الحين والآخر لتوجيه غاراتهم إليها سلباً ونهباً وتحريقاً
(١٢٤).

الخاتمة

كان من النادر في العصور الوسطى وجود دولة في حالة سلم مع كل الدول فقد كان حق الحرب مكفولاً للجميع ، وكان هناك دائماً سفناً مجهزة لضرب مصالح الأعداء، أو الانتقام منهم كرد فعل للخسائر المتعددة في الأرواح والمعدات، لقد كان هناك كثير من التجاوزات وكثير من القرصنة لغياب الأمن على سواحل البحار ، وكانت أرباح القرصنة وفيرة تضاهي مداخيل النشاط التجاري العادي والقائم في جو من الود والسلم.

من هذه المنطلقات عرضنا تفصيلاً لموضوع غارات نورمان صقلية على مدينة تيس المصرية في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي / النصف الثاني من القرن السادس الهجري، في محاولة لتفسير دوافع وأسباب تلك الغارات.. وفي النهاية توصلنا إلى عدة نتائج نُحتم بها هذا البحث يمكن إجمالها فيما يلي:

إن أي محاولة لتفسير غارات نورمان صقلية على المدن المصرية وبخاصة تيس تجعلنا أمام العديد من الأمور التي تبدو متداخلة بشكل يجعل تفسيرها أمراً صعباً يحتاج إلى مزيد من الجهد لتوضيحه وبيانه.

وتكمن صعوبات هذا التفسير في جو العلاقات الودية والسلمية التي كانت تجمع بين ملوك صقلية النورمان وحكام مصر من الفاطميين ومن جاء بعدهم.

لقد كانت هذه الغارات تعبيراً عن التطور الذي أصاب دوله النورمان في صقلية وتحولها إلى إحدى القوى الأوربية القوية في عالم البحر المتوسط ومحاولاتها المضنية لتحقيق بعض الطموحات العسكرية والسياسية، وتحميل شكل دولتهم ، ومحاولة تنمية حضارتهم لتعلو على ممالك أوربا الأخرى ولتبدو كأحد الممالك الحديثة أكثر منها مملكة من ممالك العصور الوسطى . رغم أن هذا يتصادم مع ما عرف عن النورمان من وحشية وهجمية في غاراتهم على المدن والبلاد التي هاجمها ومن أهمها تيس.

ما يزيد الأمر حيرة في إيجاد تفسير لتلك الغارات هو الميل الواضح من حكام النورمان ناحية المسلمين وتبني طرائقهم في السياسة والاقتصاد والتجارة وفنون البناء والعمارة ، وهو ما أكدته الآثار المتخلفة عنهم في نقوشهم وكتاباتهم على العملات والملابس، وتبنيهم بعض العلماء والفقهاء من المسلمين في بلاطهم ورعايتهم ، والاعتماد عليهم في كثير من الأمور.

لكن حتى هذا أيضا يتصادم مع الرغبة في الانتقام من المسلمين بسبب بقاؤهم في صقلية لفترات طويلة من الزمن ، و الرغبة في إلغاء وإنهاء الامتيازات التي حصلوا عليها وهي الأمور التي حدثت بعد وفاة روجر الثاني. بل أن هذا الانتقام حركته بعض الدوافع الشخصية الأخرى لدى حكام صقلية بعد غياب الحكمة السياسية بوفاة روجر ورحيله، ووجود بعض الميول الغربية وبخاصة في شخصية وليام الأول .

حتى ما قيل عن رغبات وليام الثاني في حماية الجماعات النصرانية في الشرق ، وتأمين طرق الحجاج إلى الأراضى المقدسة في بلاد الشام ، يتصادم مع تركيز الغارات وتكرارها على تينيس بالذات مع العلم أن أغلبية أهلها من النصارى -المحبين للغرباء والمتسامحين معهم والذين يحسنون صحبة من يثقون به من أولئك الغرباء - وهذا تناقض واضح في عقلية ونفسية هؤلاء الحكام النورمان .

هناك كذلك بعض الأسباب الاقتصادية في هذه الغارات مثل محاولة الحصول علي الملح لجودته وأهميته لأهالي صقلية، أو جلب الصناع المهرة لتحسين صناعتهم وخاصة صناعة النسيج بالذات ، إلى غير ذلك من شئون التجارة .

ونؤكد في نهاية الأمر أن هذه المدينة -على صغر حجمها وارتباطها بدمياط الأكثر منها شهره ومكانة - و ما أكدته أحداث هذه الغارات كانت واحدة من أهم مدن مصر الصناعية والحربية في العصور الوسطى ، وأن ما بقي من أنقاضها اليوم يتحدث عن مجدها الغابر وعزها الذي اندثر، وللأسف فلم يحاول أحد أن يعيد تخطيطها وتعميرها كما حدث لجارتها دمياط في أعقاب حملة لويس التاسع الملك الفرنسي عليها عام ١٢٤٨ - ١٢٥٠ م / ٦٤٦-٦٤٨ هـ وخير ما يقال عن تينيس في النهاية وكما يقول الدكتور عطية القوصي "أنه رغم اندثارها إلى أن تاريخها العظيم ودورها الحضاري الهام سيظل دوما يتنفس من تحت الماء"^(١٢٥) .

هوامش البحث

1-Davis – Scord, S.C, Sicily and the Medieval Mediterranean, communication –Networks and inter – regional exchange, Notre Dame, Indiana, U.S.A, 2007, PP. 79, 118.

٢ - اتسمت حروب النورمان بالوحشية، وكثيرا ما دنسوا الأرض بسوء فعالهم، فأنتهكوا المحرمات وظهروا دائما في صورة الجنس القوة المشاغب ، وكثيرا ما استخدموا القوة المفرطة ضد اعدائهم، تلك القوة التي وصلت إلى حد بقر بطون الراهبات، و التنكيل بالرجال والأطفال، ومن هنا آثاروا كراهية كل الأمم التي جاورتهم كالإنجليز والفرنسيين والفلمنكيين واللومباردين والمسلمين وغيرهم للمزيد عن هذه الأعمال الإرهابية للنورمان ، انظر:

Haskins, C.H, The Norman in European History, (Cambridge. Mass,1915), pp.14-15, 195.

وأیضا، عزیز أحمد، تاریخ صقلية الإسلامية ، نقله إلى العربية وقدم له د/ أمين توفيق الطيبي ، الدار العربية للكتاب، طرابلس ، ليبيا، ١٩٨٠ ، ص ٥١٧ ، فيليب تايلور، قصص العقول ، ترجمة سامي خشبة ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، عدد ٢٥٦ ، لسنة ٢٠٠٠ م ، ص ٩١ - ٩٢ .

٣- ذكر بعض المؤرخين أن مملكة النورمان في صقلية كانت مملكة على الطابع الشرقي الخالص الذي لم يسبق أن تواجد في ممالك النورمان الأخرى في أوروبا، ويعود السبب في ذلك إلى أن النورمان استفادوا بشكل خاص من المسلمين والبيزنطيين ، وكل العناصر الأخرى التي تحقق أهدافهم بصرف النظر عن معتقداتهم وطموحاتهم وأبرز دليل على ذلك استخدام روجر الثاني لكل من روبرت أوف سالزبي Robert of Salesby رئيساً لبيت المال وهو رجل إنجليزي، و الراهب نيلوس دوكساباتريس Nilus Doxa patres و هو بيزنطي ، وكذلك الجغرافي الإدريس و هو عربي و الذي كتب رسالة في الجغرافيا اشتهرت باسم كتاب الملك روجر للتفاصيل عن هذا الموضوع ،انظر:

Takyama, H., Exploring A Medieval Kingdom of Mystery, The Norman Kindom of .Sicily and its administration, (Yale University, 1990), PP.1-2, Koengsberger, H g. ed, "A History of sicily: Medieval Sicily after 1713); by

Denis Macksmith , in, EHR, 25, n.336 (July, 1970) pp.60-62.

٤- من أمثله هذه الدراسات : دراسة محمود سعيد عمران وعنوانها "حصار الصليبيين والقوات الفاطمية لصالح الدين في مدينة الاسكندرية ٥٦٢ هـ / ١١٦٧ م." ضمن كتاب تاريخ سواحل مصر الشمالية عبر العصور، سلسله تاريخ المصريين العدد ٢٠٠ لسنة ٢٠٠١ ص ١٤١-١٧٢، وأيضا دراسة علية الجنزوري وعنوانها "غارات أوربا على الشواطئ المصرية في العصور الوسطى، تاريخ المصريين عدد ٥ لسنة ١٩٨٧، ويمكن أن تضم إلى هاتين الدراستين دراسة الدكتورة صفاء حافظ وعنوانها " المواي والثغور المصرية من الفتح الإسلامي حتي نهايه العصر الفاطمي، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٧٧ م .

٥ - ابن بسام التنيسي: أنيس الجليس في أخبار تنيس، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ، ٢٠٠٠ ، ص ٣٥ - ٤١ .

٦ - ظلت صقلية تحت الحكم الإسلامي طوال الفترة من (٢٩٥ - ٤٨٤ هـ/، ٩٠٨ - ١٠٩٦ م). للمزيد من المعلومات .. انظر،

1986, pp.13-14, 50- Chairlle, L. C., Sicily During The Fatimid, Universtiy of Utah, 89.

٧ - كانت المدن الرئيسية لصقلية تطل كلها على سواحل بحريه مما جعلها عرضة لمؤثرات سياسية وثقافية متعددة ومتنوعة، انظر،

Haskins, op .cit, loc.cit Davis- Sccond, op. cit, pp. 118-119, chairlle, op. cit, p.2.

وأیضا، راشد البراوی: حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة، ١٩٤٨ ، ص ٢٨٨ .

٨ - من هذه السفارات التي تمت بين روجر الثاني والحافظ لدين الله الفاطمي، السفارة التي أرسلها للحافظ لروجر حتي يكف أذاه واعتدائه على أفريقيا وكان على رأسها مصطع الدولة بن أحمد بن زين وذلك في عام ٥١٧ هـ / ١١٢٣ م، وكذلك الخطاب الذي أرسله الحافظ (٥٢٤-٥٤٤ هـ / ١١٢٩-١١٤٩ م) إلي روجر بموجب كتاب مرسل إلى الأخير من صاحب أفريقيا لإطلاق سراح بعض الأسرى الذين وقعوا في أيدي روجر الثاني، الذي تشفع له وأطلق سراحهم بالفعل ، وهذا الخطاب الذي نشره القلقشندی لم يكتف الحافظ فيه بالتعرض للشئون السياسييه فقط بل امتد الحديث عن تعرض سفينة مصرية للتفتيش من طرف مجهول داخل المياه الصقلية حتى وضعها روجر الثاني تحت حمايته الخاصة ، ورد ملك صقلية على الحافظ بخطاب وصل بعد عزل الوزير بهرام

الأرمني من وزارة الحافظ سنة ٥٣١ هـ / ١١٣٧ م، ومن الممكن أن نضيف إلى كل ما سبق تدخل روجر لدى الحكومة الفاطمية منه ١١٣٧ م / ٥٣١ هـ وذلك لتخفيض الرسوم الجمركية على أهالي سالرنو ليدفعوا نفس القيمة التي يدفعها تجار صقلية ، وكذلك تدخله للحصول على بعض الامتيازات التجارية في مصر لتجار مدينه أمالفي. للتفاصيل انظر:

القلقشندى : صبح الأعشي في صناعة الإنشاء، القاهرة ، (١٩١٣-١٩٢٠م)، ج ٦، ص ٤٥٨ - ٤٦٣ ، وقد أعاد نشر الخطاب المشار إليه عبد الهادي التازي في كتابه : التاريخ الدبلوماسي لبلاد المغرب ، المملكة المغربية ١٩٨٧ ، المجلد الخامس، ص ٢٠٣-٢٠٨ .

٩- يخلف أبو العافية المؤرخين الآخرين ، إذ يشير إلى عقد هذه المعاهدة التجارية في عام ٥٣٢ هـ / ١١٣٧ م ومنذ ذلك التاريخ وتجار صقلية يشاهدون باستمرار في مواني مصر وأسواقها، إنظر:

Abulafia, D., *The Crown and The Economy under Roger II and His successor*, DOP. 37,1983,p.2.

وانظر أيضاً : أيمن فؤاد سيد : الدولة الفاطمية في مصر - تفسير جديد، الدار المصرية اللبنانية ، ٢٠٠٧ م، ص ٥٣٢

- ٥٣٣ ، حامد زيان: العلاقات بين جزيرة صقلية ومصر و الشام أبان الحروب الصليبية (٤٩٠ - ٦٥٩ هـ / ١٠٩٦ - ١٢٦١ م) رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب ، جامعه القاهرة ، ١٩٧٣ ، ص ٧٨ ، أمينة الشوربجي: رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية لمصر في العصر الفاطمي (٣٥٨ - ٥٦٧ هـ / ٩٦٩ - ١١٧١ م)، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ، ١٩٩٤ ، ص ٣٦٥ .

Haskins, op. cit, p. 221 -10

.Haskins, op. cit, p.195, Takyama, op. cit, p.22 -11

12- وصف المؤرخ ررمويلد اوف سالرنو الملك ، روجر الثاني وهو ينعيه عند وفاته بأنه كان مهتما بجمع المال ، لكنه لم يكن سخياً في إنفاقه .

Romuald of Salerno, *Chronicon 1153-1169*, ed, Gorufi, C.A, RIS.7 Bologana, 1935, ser, 2, p. 237.

بينما وصفه البيزنطيون بأنه الطاغية الحقيقي، وتنين الجزيرة، والعدو الرئيسي لكل المسيحيين، وعلاوة على ذلك فهو الحاكم المتوحش الذي حافظ على أراضي صقلية بنفوذه وطغيانه، أنظر:

Eustasios of Thessaloniki Eustathii Thessalonicensis
Manuelis Comneni, Laudatic Fonebris, PG. CXXXVI, P.983
, also : Wierszowki , H . Roger II of Sicily Rex-Tyranus, in
Twelfth Century plotical Thought, in SP Vol, 38, No . I
(jan.1963) p.63

أما عن وفاة روجر فقد حدثت في ٢٧ فبراير ١١٥٤م انظر .

.Takayama, op. cit,p ، 178.

13- نقلت جو. ه درل عن حولية ألكسندر أوف تيليس Alexander of Telese قوله
عن ولدي روجر: "كان لدي الملك ولدان جنديان مظهرهما يبدو جيداً وتصرفاتهما على مستوى
منضبط وأنهما قد أوكل إليهما حكم المملكة بمجرد أن وصلا إلى سن الرشد، والواضح أن تيليس
اختلط عليه الأمر فجعل وليم الأول ووليم الثاني ابنين لروجر الثاني ، لكن الحقيقة أن وليم الثاني
كان ابنا لوليم الأول وليس أخيه، انظر:

Drell, J.H., Marriage, Kinship and power, family structure in
principality of Salerno under Norman Rule, 1077-1154,
Brown university 1996, P.II.

هذا يخالف ما ذكره كثير من المؤرخين الذين وصموهم بالضعف، وعدم القدرة على عمل أي
شيء، بل الكسل أحيانا، فابن الأثير وصف وليام الأول الذي نجح في خلافة والده. روجر بأنه
كان "فاسد التدبير سيئ التصوير"، انظر: ابن الأثير:

الكامل في التاريخ، دار صادر بيروت ، ١٩٧٨ ، ج ١١ ، ص ١٨٧ كما وصفه رومويلد أوف
سالرنو بأنه كان مكروها بين أهله وكانوا يخافونه ، ولا يحبونه.

Romuald of Salerno , op. cit, p. 253. CF. also, Laud, G.A.,
Norman Sicily in Twelfth Century, in NCMH, vol, II, Ch.
15,p.454.

14- بدا حكم وليام الأول المشترك مع أبيه روجر الثاني في ٨ أبريل ١١٥١ م ، و هي مده تصل
إلى سنتين وعشرة اشهر تقريبا ، واستمر حتى تتويجه في عام ١١٥٤ م، وقد حضر تتويج وليام كل
من كونت كونفرسانو Conversano روبرت بازو نفيل Robert De Basonivlle وهو
أكبر أبناء عمومة الملك، وقد أعطاه.

وليام لقب كونت لوريتيلو Lorittelo وأرسله معززا مكرما إلى أبوليا. للتفاصيل انظر :

Falcandus, H., The History of The Tyrants of Sicily, By Hugo Falcandus, 1154-1169, Trasns by, Thomas Wiedeman, Manchester and Newyork, 1998. P.221.

١٥- كان مايودي باري أبنا لليودي ريزا Leo De Reiza الذي كان بارونا ليورتودكس Portojudex وكان من رجال روجر الثاني بين عامي ١١٤٤ و ١١٤٨ م ، أما مايو ابنه فقد ترقى حتى وصل إلى منصب المستشار الأول للمملكة أيام روجر الثاني ، اما في عهد أبنه وليام فقد حمل مايو لقب أمير الأمراء حتى اغتياله في عام ١١٦٠ م. اختلف مايو عمن سبقوه في أنه كان من أصول لاتينية وليس بيزنطياً، وظل طوال حياته موظفا مدنيا فلم يشغل نفسه كثيرا بالأنشطة العسكرية وكان مايو كما يقول فالكاندوس "مصدر كل أزمة حدثت، خاصة بعد ما زادت سطوته وتشبه بالملك في سلطاته الواسعة، وأتصف كثيرا بالجنون والغباء"؟ بالذات عند ما كان الملك وليام يطلب منه فعل أي شيء وحشي مع عامة الناس مثل سمل العيون وقطع الألسنة وما شابه ذلك. ويضيف فالكاندوس أنه لم يكن محبوبا بين العامة لدرجه أنهم عندما وجدوا جثته ملقاه في الشارع بعد اغتياله قاموا بضربها بالأقدام، وداس بعضهم عليها، وقام آخرون بطريقة عفوية باقتلاع شعر لحيته، وصفعة على وجهه . و الأغرب أن كثير من العامة ظنوا أنه لم يمت ، و أن الجثة الموجودة بالطريق مجندلة في الطين بهذه الطريقة المخزية ليست له ، و إنما لأحد فرسانه

Falcandus , op . cit .P.78,Romulad Salerno, op. cit, loc. Cit, CF. also, Takyama, op. cit, pp. 179-181.

البرصاني، انظر، الكامل ج ١١، نفس الصفحة السابقة.

16- بعد اغتيال مايودي باري عين وليام الأول هنري أرسيتيبوس Henry Aristippus قسيس كاتانيا مكانه وأو كل إليه مهامه وكان رجلا ذو ثقافة عالية عالما بالأدب البيزنطية و اللاتينية وعرف لوقت طويل في الحوليات على أنه واحد من أهم وأفضل رجال الإدارة الملكية النورمانية.

Romulad Salerno, op. cit, p. 254; also. - Haskins. CH.; Lockwood, D. P. , The Sicilian Translator of The Twelfth Century and First latin version of Ptolemy's ، Almagest , in H.S.C.Ph. vol,21, 1910, p.86.

وانظر أيضاً: عزيز أحمد، المرجع السابق، ص ٦٩.

١٧ - حينما كان وليام يحتضر جمع رجال دولته وعلى رأسهم رئيس أساقفة سالرنو وأبلغهم بأحر

أمنيته وهي أن يتولى ابنه الأكبر وليام - الذي كان عمره. آنذاك لا يزيد على اثنتي عشرة سنة - الحكم بعد وفاته، بينما يكون ابنه الأصغر هنري - وكان عمره. آنذاك ستة أعوام - أميراً على إمارة كابوا، وأن تكون الملكة الأم مارجریت Margrate وصية على ابنها الأكبر حتي يصل إلى سن الرشد. ويستطيع أن يحكم المملكة حكماً ناضحاً لكن سلطة مارجریت اغتصبها "مجلس العشرة" الذي نصبه النبلاء الثائرون، بيد أن والتر اوف أميل Walter ophamil الإنجليزي . نجح في تجريد مجلس العشرة من كل سلطانه التي اغتصبها وبالتالي حاز ثقة وليام الثاني عندما بلغ سن الرشد وأصبح ملكاً على صقلية . وقد أشار فالكاندوس إلى أن النساء المسلمات في بالرمو حين توفي وليام كن يلبسن الثياب الخشنة ، وقد نثرن شعورهن ، وملأن الفضاء بعويلهن، ورددن المراثي الشجية على أنغام الطنبور. و عند وفاة في عام ١١٦٦م دفن في كنيسة القديس بيتر، ثم أعيد دفن جثمانه مرة أخرى في موتريال ١١٨٣م/٥٧٩ انظر،

Falcandus,op . cit, p. 137 , Romulad of salerno .pp. 261-62.
CF. also, Loud, op cit, p. 454.

وأيضاً، عزيز أحمد : المرجع السابق، ص ٧١ .

١٨- ذكر بعض المؤرخين أن عصر وليام الثاني أيضاً كان عصر تمزق وشقاق داخلي ، وكان لديه هو الآخر بالمثل رئيس وزراء قوى مكروه هو ستيفن بيرش Stephen of Berche انظر:

,Loud, op . cit, pp. 454 - 455, Takyama, op. cit. vol ,p.10

وأيضاً، عزيز أحمد المرجع السابق، ص ٧١، بينما أشار آخرون إلى أن الغابات في صقلية في عهد وليام الثاني كانت أكثر أماناً من المدن في البلاد الأخرى " وهذا دليل قاطع على الهدوء والاستقرار اللذين تمتعت بهما صقلية في عهده الذي بدأ فعلياً في عام ١١٧١م وكان حريصاً على استمرار الغارات المشار إليها، انظر:

.Takyama , op. cit, loc. cit

19- تولى حكم مصر في هذه الفترة - كما سبق أن أشرنا - الخليفة الفانز (٥٤٩-٥٥٥ هـ/ ١١٥٤ - ١١٦٠م) الذي كان مجرد طفل صغير لم يتجاوز عمره خمس سنوات . شهد مصرع أعمامه على يد الوزراء الكبار، فتعرض الخليفة الصبي منذ ذلك إلى نوبات صرع مزمن ، الأمر الذي جعل اميرات القصر الفاطمي يستدعين حاكم الصعيد طلائع ابن رزيك لإنقاذهن، فلما جاء ابن رزيك اتخذ لنفسه لقب الملك الصالح وأخذ يلهو بالخلفاء الصغار، يعين من يشاء ويعزل من يريد، ولذا فعندما أقام الخليفة العاضد ٥٥٥ هـ/ ١١٦٠ م، هلل الناس للخليفة الجديد، فتعجب بن رزيك

من جهل الشعب وقال "وكأني بهؤلاء الجهلة وهم يقولون ما مات الأول حتى استخلف هذا، وما علموا إنني كنت منذ ساعة استعرضهم استعراض الغنم" واكبر دليل على مدى تعاضم نفوذ الصلح بن رزيك هو أنه أراد أن ينتقم من عمه الخليفة العاضد التي كانت قد نجحت عن طريق المال في شراء بعض الأمراء المصريين مثل ناصر الدولة ياقوت والي قوص، وابن الراعي أشد الأمراء المصريين والامير المعظم ابن قوام الدولة صاحب الباب لقتلة لكنهم لم ينجحوا ورغم ذلك فقد أصيب باصابات طفيفة. وعند ذلك طلب من العاضد أن يسلمه عمته فخاف وأرسلها إليه لينفي علاقته بهذه المؤامرة ، فما كان من ابن رزيك إلا أن خنقها. و عند ذلك الحد قامت عمه العاضد الأخرى والتي تدعى ست القصور بإحضار من قتل ابن الصالح المدعو رزيك . وفي النهاية لم يلبث هذا النزاع بين الخلفاء والوزراء، وبين الوزراء بعضهم وبعض أن أدى إلى تعرض البلاد إلى تدخل القوى الخارجية، وبالطبع منهم النورمان، هذا التدخل الذي انتهى بسقوط الدولة الفاطمية نفسها، للتفاصيل انظر:

أسامة بن منقذ: كتاب الاعتبار، تحقيق فليب حتى، الولايات المتحدة ، برنستون ١٩٣٠، ص ٤٣-٥٥، ابن الأثير: المصدر السابق، ج ١٢ ص ٢٧٤-٢٧٦. وكذلك، وليام الصوري : تاريخ الحروب الصليبية ، الأعمال المنجزة فيما وراء البحار، ترجمه سهيل زكار، دار الفكر للنشر والطباعة، بيروت ، ١٩٩٠، ج ٢، ص ٨٣٩-٨٤١ .

وانظر أيضا : عبد الرحمن الراجعي، وسعيد عاشور، مصر في العصور الوسطى، من الفتح العربي حتى الغزو العثماني ، القاهرة ، ١٩٧٠ ، ص ٢٠٩ ، رانسيما : تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة السيد الباز العريبي ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٢ ، ج ٢ ، ص ٥٩٠-٥٩٢ ، ناريمان عبد الكريم : المرأة في مصر في العصر الفاطمي، القاهرة ، ١٩٩٣، ص ٢٣٢-٢٣٣ .

٢٠ - يقول الإدريسي عن قوه أساطيل نورمان صقلية - وبالذات في عهد روجر الثاني - "كانت أساطيل روجر متكاتفه متناصر المدد صدق فيها الخبر الخبر، وتساوى في معرفتها السمع والبصر، فأى غرض بعيد لم يصل إليه ولم يخطر عليه، وأى حرام عسير لم يحظ به ، ولم يتيسر لديه ... "، انظر:

الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ، د.ت، ص ٤ .
بينما يشير أبو العافية إلى أن الأسطول الصقلي كان قادرا على حراسة المضائق في صقلية وأفريقيا، كما كانوا يفرضون إتاوات على جميع الموانئ التي يسافرون إليها سواه كانت تابعه لهم أو ليست

كذلك علي كل الطرق والمضايق على طول البحر المتوسط .انظر:
Abulafia , D. , The Two Italies , Economic relations between
The Norman kingdom of
.Sicily and The Northmen Communes, Camb, Univ. press,
1977, p.86

٢١- سيمينوفا : تاريخ مصر الفاطمية، ترجمة وتحقيق حسن بيومي ، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة
، ٢٠٠١م، ص ١٥٢، حامد زيان : المرجع السابق ، ص ٧٦، ٧٧.

٢٢- Jones, J., The Norman Kingdon of Sicily and the Fatimid
T15 , 1992 pp 147 148- .caliphate, A N S,

وأيضاً: عطية القوصي : مصر الفاطمية وعالم البحر المتوسط ضمن أعمال ندوة مصر وعالم البحر
المتوسط القاهرة ، ١٩٨٦ ، ص ١٥٥ ، حامد زيان : المرجع السابق، ص ١٦٩، البراوي : المرجع
السابق ، ص ٢٢٩ .

23- كان طريق التجارة الرئيسي بين مصر وصقلية هو طريق التجارة الدائرية البحري في الشمال
والذي يبدأ من صقلية إلى كريت وقبرص وبلاد الشام إلى مصر ، كذلك كان هناك طريق بحري آخر
يبدأ من الاسكندرية مارا بسواحل المغرب ، ومن هناك إلى صقلية، وأن كان الرحالة والجغرافيون قد
أشاروا إلى وجود طرف بحري مباشر بين مصر وصقلية تقطعه السفينة في عشرين يوماً على قول
ناصر خسرو، وثلاثين يوماً كما أشار ابن جبير، وكان فنار الاسكندرية دليلاً للسفن القادمة من
صقلية ، فقد كان يشاهد على بعد عشرين ميلاً، أنظر:

ناصر خسرو: سفرنامه، ترجمة يحي الخشاب ، القاهرة، ١٩٩٣ ص ١٠٠، ابن جبير: رحلة ابن
جبير، ضبطه ووضع فهارسه محمد زينهم، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٠، ص ٢٥٦، انظر أيضاً:

Sccord , Davis., op. cit , pp 241 , 245.

وأيضاً: عبد العزيز الدوري صقلية وعلاقتها بدول البحر المتوسط الأسلامي من الفتح العربي حتي
الغزو النورماندي العراق ، ١٩٨٠ ، ص ١٧١ .

Abulafeia, D., The Crown and Economy, p.3-24

٢٥ - اشارت ديفيز سكورد أنه جرى في أحد المرات تصدير ثلاثين صندوقاً من الجبن الصقلي
شحنت من بالرمو إلى مصر، واستغرقت رحلتها تسعة وعشرون يوماً، كما ظهر الجبن الصقلي في

أحد كتب الطهي العربي في الشرق الادبي ، انظر Sccord , Davis., op. it, p. 205

٢٦ - أشهر أنواع الزيوت التي ظهرت في المصادر والكتب زيت الزيتون ، وزيت القرطم، وزيت

السمسم، وكذلك زيت بذرة الكتان، وإن أقبل الناس أكثر على زيت الزيتون سواء في الاستهلاك البشري أو كوقود للإضاءة أو لأهميته في صناعة الصابون و المنتجات الأخرى . 202 - 205 .

Sccord , Davis., op. it, pp
Abulafia, The Crown and Economy, p.7, Davis sccord, - ٢٧
op. cit, pp . 151,202.

وأيضاً، الدوري : المرجع السابق ، نفس الصفحة، حامد زيان ، المرجع السابق، ص ١٦٣ .
٢٨ - المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، القاهرة، ١٩٩١م، ص ٢٦٠ ، الإدريسي :
المصدر السابق، ص ١١٧ ، وانظر كذلك

Goitein , From The Mediterranean to India , Document on
The Trade To India , South
Arabia,and East Africa from The Eleventh and Twelfth
Centuries, SP. Vol, 39, 1954,p.60

٢٩ - زيغريد هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب "اثر الحضارة العربية في أوربا " نقله عن
الألمانية، فاروق بيضون، وكمال دسوقي، راجعه ووضع حواشيه مارون عيسى الخوري. دار الافاق ،
بيروت، ١٩٨١ ، ط ٦ ، ص ٢٨ .

٣٠ - السيد عبد العزيز سالم ، واحمد مختار العبادى، تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر
المتوسط البحرية الإسلامية في مصر والشام، الأسكندرية، ١٩٨١ ، ص ٩٤ ، البراوى : المرجع
السابق ، ص ٢٢٤ .

Sccord - Davis. pp.٢١٦ ،٢٢٢. - ٣١

أشار أبو العافية إلى أن حكام صقلية كانوا حريصين على تصدير نوع من الخيوط الخام وبعض
الجلود والقطن إلى مصر والشرق.

Abulafia, The Crown and Economy, , p . 8 .

٣٢ - أشار جويتين إلى وجود تشابه كبير بين المنسوجات والأثواب الحريرية الصقلية ومثيلتها في
شرق البحر المتوسط وشمال أفريقيا ، إذ إن قطع الحرير والنسيج التي عثر عليها في القرن الثاني عشر
الميلادى كشفت عن قيام حكام صقلية بتبني الفنون والزخارف الإسلامية، وكذلك الرموز الثقافية
المستخدمة عند المسلمين في ذات القرن ، بل كذلك الطرق المستخدمة في تلك الصناعة.

Goietin, op. cit, loc..cit

٣٣ - هونكه : المرجع السابق، نفس الصفحة.

٤٣ - عزيز أحمد، المرجع السابق، ص ٧٣، وقد أشار ج. بريك *Brik, J.C.* إلى أن العملات النورمانية التي ضربت بعد وفاة وليام الأول ظهر عليها اسم ابنه وليام الثاني وتحمل علامه مكتوب عليها "الملك وليام المبارك من الرب" وهذا يدل علي أنه استبدل العبارات العربية والآيات القرآنية التي ظهرت على عملات سابقه، وحل محلها بعض العلامات المسيحية كالصليب ، وكذلك بعض الألقاب مثل لقب النصرانية وغيرها".

Brik, J.C., op. cit. p. 186 .

٣٥ - يشير ابن جبير إلي أن الملك وليام الثاني كان عجيب السيرة في استخدامة للمسلمين ، واتخاذ الفتيان، والجواري، وحرص على التشبه بحكام المسلمين، كذلك مال إلى الأبهة وتفخيم الملك ، انظر: ابن جبير، الرحلة ، ص ٢٥٦ - ٢٥٧، وانظر أيضاً، عزيز أحمد: المرجع السابق ، ص ٧٤.

٣٦ - بنى وليام الأول قصره الذى عرف باسم الزيسا *Zisa* وتكتب بالعربية "العزيزة" وتعنى القوة والنبالة ، وقد أحيط القصر بأشجار الفاكهة والحداثق الخلابة ، وحوله ينابيع الماء وبعض برك الأسماك . وقد أشار فالكاندوس إلى أن وليام بنى هذا القصر ليستريح فيه من مسؤولياته أو يهرب منها، فقد كان كسولا وليس كوالده الوافر النشاط لكن من الواضح أن حكم فالكاندوس كان ظلما، بدليل نجاح وليام في تجاوز هذه المرحلة بشكل مقبول وبهدوء . انظر،

Falcandus , op. cit ,p. 68, CF. also, Brik, G., op cit, pp. 193-196, Haskins, op. cit , pp . 225-226.

وأيضاً ، عزيز أحمد : المرجع السابق ، ص ٧٣ .

٣٧ - حامد زيان : المرجع السابق ، ص ١٩٧ ، هونكه : المرجع السابق ، ص ٤١١ .

٣٨ - من أبرز هؤلاء الأدباء الذين زاروا صقلية أيام الملك وليام الثاني الشاعر أبو الفتوح نصر الله المعروف بابن قلاقس (١١٣٧-١١٧٢م / ٥٣٢-٥٦٨ هـ) والذي ولد بالإسكندرية وتعلم بالقاهرة، وقام برحلات متعددة في شتي بلدان العالم الإسلامي وقد زار صقلية عام ١١٦٨م / ٥٦٤ هـ ، وكان في ضيافة القائد أبو القاسم بن الحجار الذي كان زعيماً للجماعة الإسلامية هناك، وقرض فيه ابن قلاقس شعراً وهناك أيضاً مفكراً صقلياً آخر تجول في معظم العالم الإسلامي هو أبو عبد الله محمد بن ظافر الصقلى وكان عالماً وكاتباً ولد بصقلية ، وذهب إلى مكة، وظل في حالة ترحال وتردد على بلاد المسلمين حتى توفي بصقلية عام ١١٦٩-١١٧٠م / ٥٦٥-٥٦٦ هـ فاذا أضفنا إلى ذلك الجغرافي العربي الشهير الشريف الإدريسي، وكذلك الفيلسوف عبد الحق بن سبعين

واللغوي القطاع السعدي، وكذا جمهرة من المعماريين قد اغلقت أسماؤهم وطويت تراجمهم، اتضح لنا كم كانت صقلية مركزا للثقافة والعلم بفضل هذه التأثيرات الإسلامية و العربية ، للتفاصيل أنظر : ابن خلكان ،وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان ،تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة بيروت ،دت ، مجلد ٥ ، ص ٢٨٥ ، وذكر المقرئبى أن ابن قلاقس مدح الملك روجر الصقلى نفسه ، انظر : المقرئبى : اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، تحقيق محمد حلمى محمد ، القاهرة ١٩٩٦ ، ج ٣ ، ص ٢٧٧ ، وانظر أيضا حامد زيان : المرجع السابق ، ص ١٨٠ ، عثمان العكاك : مسلك القاهرة ، الندوة الدولية لتاريخ القاهرة ، ١٩٧١. ص ٧٩٣ ، وكذلك

Davis- Sccond, op. cit .pp .135,188

٣٩- ابن الأثير : الكامل ، ج ١١ ص ١٩٠ ، ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، تحقيق أ.أمدروز ، ١٩٠٨ ، ص ٣٣١ ، أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين ، دار الجيل ، بيروت ، د.ت ، ج ١ ، ٢٤٩ ، ٢٥٣ ، المقرئبى : كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئبية ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة . د.ت ج ١ ، ص ٢١٤ . والجدير بالذكر أن الخليفة الفاطمي آنذاك كان الفائز بالله والوزير هو الصالح طلائع بن رزيك ، والذي كان قد بدأ ممارسة مهام منصبه فى أول يونيو ١١٥٤م / ٥٤٩هـ، وان هذه الغارة كانت بعد وفاة روجر الثاني بأربعة شهور أنظر أيضا، أماري: المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٤١٨ ، وأيضا، حسن حبشي: تاريخ العالم الإسلامي، القاهرة ٢٠٠٦م ، ج ٢ ، ص ٢٩١ .

وتنيس بكسر التاء المنقوطة بأثنين من فوقها وكسر النون المشددة وياء وأخر الحروف سين مهملة : بلدة من مصر فى وسط الماء وهي من كورة الخليج يقول المقرئبى إنها سميت بتنيس بن حام بن نوح، ويقال بناها قبليم أحد ملوك القبط فى القديم، بينما يشير ابن بسام محتسب المدينة فى العهد الفاطمي أن الذي بنى تنيس امرأة هي بنت صاين أحد ملوك، القبط ، أما أبو المكارم فيقول إن تنيس اسم ولد لوطيس بن حرييا وهو صادق ، وهناك من يشير إلى أن اسم هذه المدينة مشتق من الكلمة اليونانية (نيوسوس VIOOC) ومعناه الجزيرة ، وأنها بالفعل كانت أرضا تحيط بها المياه من كل جانب، وكان أهلها يعتمدون على البحر فى الانتقال من مكان إلى آخر. ولم يكن يضارع أرضها فى مصر كلها أرضا أخرى فى جودتها وخصبها وغناها وأنها كانت تنبت نباتا يانعا من القمح والنخيل والأعشاب وسائر الشجر، وكانت مدينة لها شيئا كبيرا من الاتساع والكبر. ويلاحظ التمييز بين

تنيس هذه بكسر التاء وتشديد النون ، وبين تانيس التي هي صان الحجر بمركز فاقوس الآن بمحافظة الشرقية ، وبين تنيس بغير تشديد ويقال لها التينة وهي اليوم باسم البربا بمركز جرجا بمحافظة سوهاج ، وهي مسقط رأس ميناء أول ملوك الفراعنة. ما يهم أن مدينتا تنيس كانت قد بلغت قمة ازدهارها في العصر الفاطمي، وكان لانفرادها بذلك الموقع الجزري المتطرف الذي يتوسط موانئ مصر في الشمال الشرقي مما جعلها تلعب دوراً مهماً في تاريخ مصر السياسي والحربي : لتفاصيل، انظر: المقريري : المصدر السابق، ج ١، ص ١٧٦، ابن بسام : نفس المصدر، ص ٤١ : "تاريخ أبو المكارم" المعروف بتاريخ الكنائس والأديرة في القرن الثاني عشر بالوجه البحري ، اعداد الأنا صموئيل، النعام للطباعة والتوريدات ، القاهرة ، ١٩٩٩ ، ج ١ ، ص ١٠٩ - ١١٠ . وانظر:

<http://www.portsaid-online.com/community/viewtopic.php?f=10&t=13837>

٤٠ - تفاصيل هذه الغارة التي أوردتها ابن القلانسي يشير فيها إلى أن مقدمي الأجناد في جيش الوزير الصالح طلائع بن رزيق اختاروا مقدما مشهودا له بالشهامة والصرامة والبراعة وحسن السياسة ، شديد البأس، بصيراً بأشغال البحر . فقام باختيار جماعة من رجال البحر يتكلمون بلسان الفرنج ، وألبسهم لباس الفرنج ، وأهضهم في عدة من المراكب الأسطولية ، وأقلع في البحر يكشف الأماكن والمكامن المعروفة بمراكب الروم وتعرف احوالها ثم قصد ميناء صور، وقد ذكر له أن فيه شخورة رومية كبيرة ، فيها رجال كثير ومال وفير، فهجم عليها وملكها، وقتل من فيها وأستولى على ما حوته، وأقام ثلاثة أيام ثم أحرقها وعاد في البحر فظفر بمراكب حجاج الإفرنج فقتل وأسرى وانتهب وعاد إلى مصر محملاً بالغنائم والأسرى ، انظر: ابن القلانسي : المصدر السابق، ص ٢٣١ - ٣٣٢ ، أبو شامة : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٥٣ ، وأنظر أيضاً، السيد عبد العزيز سالم، والعبادي : المرجع السابق ، ص ١٢٥ .

٤١ - يشير أماري، المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٤١٨ ، ٤٥٣ إلى أنه نقل هذا الرواية عن ابن الأثير، لكنه عاد فأشار إلى أن ابن الأثير قد أخطأ في نقله لروايته، أو أنه التبس عليه الأمر فقرا تنيس Tinnis بدلا من تنس Tenes ، وانما من أرض مصر، وهي في الأساس مدينة جزائرية ذكرها الأديسي تقع على البحر الملح أي المتوسط وبينها وبين مدينة بجاية مرحلة ، انظر: الأديسي : المصدر السابق ، ص ٢٥١ - ٢٥٢ .

٤٢ - نيجربونت : الاسم الإيطالي لإيوبيا وهي إحدى جزر بحر إيجه تقع في مقابل الساحل الشرقي لليونان بها سلسلة جبال تحمل نفس الاسم ، وقد آلت هذه الجزيرة للبنديقية بموجب اتفاقية

تقسيم الإمبراطورية البيزنطية في عام ١٢٠٤م لكن البنادقة لم يسيطروا عليها تماما ولم يتخذوها قاعدة لعملياتهم في بحر إيجه إلا بعد عام ١٢١٢ م ، انظر O D B, VOL, II, P .1449 وأيضاً محمد عثمان: ابيروس وسياستها الخرجية، رسالة دكتوراة غير منشورة كلية الآداب ، جامعة طنطا، ١٩٩٧ ، ص ٨٦ ، حاشية ١ .

43 - Kinamos,J ., Deeds of John and Manuel Comnenus , Englis Trans, by. Ch. Brand, New york, 1976, pp. 129-150. Cf. also, Magdalion, D.P. The Empire Manuel I Kamnenus, 1143-1185, Cambridge University press, 1993, p. 54, Lille, R.J., Handel and politic zwishen dem byzantinischen Reich und Italienischen komunen venedig, pisa and Genua in der.epoche der komenen und der Angaloi (1181-1204) Amesterdam,1984, pp. 437-483.

كان قائد الأسطول البيزنطي في هذه المعركة قسطنطين أنجيلوس Konstantin Angilos قد وقع في الأسر بعد هزيمته الساحقة ... انظر أيضاً،

اسحاق عبيد : روما وبيزنطة من قطيعه فوشيسوس حتى الغزو اللاتيني لمدينة قسطنطين ٨٦٩-١٢٠٤م، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٠ ، ص ١٤٩ ، عبده جمعة مسعود السياسة الخارجية لنورمان جنوب إيطاليا وصقلية في عهد روجر الثاني (١١١٢ - ١١٥٤ / ٥٠٦ - ٥٤٨ هـ) رسالة ماجستير غير منشوره، كلية الآداب بدمنهور ، ٢٠٠٧م ، ص ٧١ - ٧٢ .

٤٤- آماري : المرجع السابق، ج ٣، ص ٤٥٦ .

٤٥ - أشار المقرئزي إلى أن هذه الغارة الشديدة والقوية كانت في أغسطس من نفس العام ٥٥٠ هـ / ١١٥٤م وقد نقلها عنه آماري، انظر: المقرئزي : الخطط ج ١، ص ٢١٤ . وأيضاً : آماري المرجع السابق نفس الصفحة.

٤٦- ابن تغريدى : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مطبوعات الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٨م ، ج ٥، ص ٣٩٢ - ٣١٣ .

٤٧ - اتفقت كل المصادر العربية بأن عدد السفن النورمانيه كان ستون سفينة انظر:ابن الأثير : الكامل، ج ١١، ص ١٩٠ ، المقرئزي الخطط ج ١ ، ص ٢١٤ ، والوحيد الذي خالف هذا الإجماع كان ابن اييك الدوادارى، الذي أشار إلى أن عددها كان خمسون مركبا ابن اييك : كنز الدرر وجامع الغرر، ج ٦، " الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية" ، تحقيق صلاح الدين

والمندج، القاهرة ١٩٦١م، ص ٥٦٣ . وانظر أيضا، امارى: المرجع السابق ، ج ٣، ص ٤٥٥ ،
 جمعه الجندي : علاقات نورمان صقلية بالقوي الإسلامية في شمال أفريقيا خلال القرن السادس
 الهجري / الثاني عشر الميلادي، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ، الرسالة ١٩٤ ، الحولية ،
 ٢٣ (١٤٢٣ - ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٢ - ٢٠٠٣ م) مجلس النشر العلمي ، جامعة الكويت ، ص
 ٧١ أحمد رمضان : تاريخ فن القتال البحري في البحر المتوسط "العصر الوسيط" (٣٥ هـ -
 ٦٥٥ م / ٩٧٨ هـ - ١٥٧١م)، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص ٢٧ - ٢٨ .
 ٤٨ - قال ابن أيبك الدودارى أن الفرنج "يقصد النورمان" أخذوا جميع من كان بالمدينة ،
 واستأسروا الأقباء وقتلوا الضعفاء ، وغنموا من الأموال ما لا يحصى كنزه، انظر ابن ايبك: المصدر
 السابق ، ج ٦ ، نشر الصفحة ، وانظر أيضا محمود سعيد عمران : الحملة الصليبية الخامسة، حملة
 جان دى برين علي مصر ١٢١٨-١٢٢١م / ٦١٥ - ٦١٨ هـ القاهرة ١٩٨٥ ، ص ٥٩ .
 ٤٩ - أماري: المرجع السابق، ج ٣ . ص ٤٥١ حسن حبشي: تاريخ العالم الإسلامي، سلسلة
 تاريخ المصريين، عدد ٢٥٩، لسنة ٢٠٠٦ م، ص ٢٩٠ - ٢٩١.
 ٥٠ - حدث هذا خلال حملتهم على أثينا وكورنثة عام ١١٤٧م وكان قائد الأسطول الصقلي
 الأدميرال سالرنو ، انظر

Kenamos , op, cit, p. 118: Falcndus,op. cit, p. 173
 ,Otto Freising: the deeds of Fredreick Barbarossa, English
 Trans S. C. C. Mierow
 Columbia, 1966., pp. 69-70. also Chalandon , F ., Histoire de
 la domination Normade En Italie et en Sicile, Paris, 1907,
 vol, II, pp. 136-137.

51- أشار المقرئزي على سبيل الخطأ بأن هذه الحملة قد بعث بها إلى مصر لوجيزين روجار
 صاحب صقلية ، وهو يقصد بالطبع وليام الأول ابن روجر الثاني، انظر:
 المقرئزي : الخطط ج ١ ، نفس الصفحة ، ابن القلانسي : المصدر السابق، نفس الصفحة ، وأنظر
 أيضا، جمال الدين الشيال ، مجمل تاريخ دمياط سياسيا واقتصاديا، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ،
 ٢٠٠٠م، ص ٦٩ . وايضا، أحمد رمضان ، المرجع السابق ، ص ٢٨

Longnon, les Francias d Outremer, Essai Sur
 L'Expansion Francais dans le Bassin de la , Mediterranee
 paris, 1929, pp. 26-28.

٥٢ - أشار بعض المؤرخين إلى أن أسطول دمياط تصدى النورمان حتى ردهم عنها، بل وصل الحد إلى إرسال الأسطول المصري مرة أخرى الي سواحل الشام عام ٥٥٣هـ / ١١٥٧م لتهديد الممتلكات الصليبية ردا على هذه الغارة حيث أرسل المأمون البطائحي إلى يافا اسطولاً تكون من أربعين شينيا كما أرسل العادل بن السلار المراكب الحربية إلى يافا وعكا وصيدا وبيروت وطرابلس وكان جملة ما حمله هذا الأسطول ثلاثمائة ألف دينار، انظر:

ابن ميسر : المنتقى من أخبار مصر لابن ميسر، أنتقاه المقرئ، حققه ووضع فهارسه ، أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمي للآثار الشرقية بالقاهرة، ١٩٨١، ص ١٤٥ ، وانظر أيضاً ، الشيال : المرجع السابق نفس الصفحة، السيد عبد العزيز سالم والعبادي : المرجع السابق، ص ١٢٦، صفاء حافظ : المواني والثغور المصرية من الفتح الإسلامي حتى نهاية العصر الفاطمي ، دار الفكر العربي ، القاهرة، ١٩٧٧ ، ص ٨٣-٨٤.

Falcandus, op. cit, pp. 78-79, 225. - 53

٤3 - عن الملابس التي احاطت بسقوط الدولة الفاطمية وإعلان عودة مصر مرة أخرى إلى حوزة الخلافة العباسية السنية ، للتفاصيل: ابن الأثير: الكامل، ج ١١، ص ٣٦٨-٣٧١ ، ابن شداد : سيرة صلاح الدين المسماة بالنوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٨٨، ص ٣٣-٣٥ ، وأنظر أيضاً: رنسيان: تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العربي، بيروت ، ط ٢، ١٩٨٢ ، ج ٢ ، ص ٦٣٦-٦٣٨، سعيد عاشور : الأيوبيون والمماليك في مصر والشام ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٩٧، ص ٢٦ - ٢٧ .

Falcandus, op. cit, p. 137, Ramuald of Salerno, op. cit, pp .261-262, C - 55 also, Loud, op. cit, p . 454, Takyama, op, cit, vol , 1, p. 10.

وايضا عزيز أحمد : المرجع السابق ، ص ٧٠ .

٦5 - المقرئ: الخطط ، ج ١، ص ٢١٥. وانظر ايضاً: أماري : المرجع السابق، ج ٣، ص ٤٩١ ، الشيال :

المرجع السابق، ص ١٧ ، جمعه الجندي : المرجع السابق ، ص ٨١ .

٣٧ - انفرد المقرئ وحده بهذه الغارة ، وإن كان لم يفصل لنا أحداث بوضوح . انظر: المقرئ : الخطط ج ١، ص ١٨٠ - ١٨١، وانظر أيضاً، أماري : المرجع السابق، ص ٤٩٩، صفي على : مدن مصر الصناعية في العصر الإسلامي إلى نهاية عصر الفاطميين القاهرة ، ٢٠٠٠ م، ص ٧٤ -

وفيما يتعلق بالشواني فهي السفن الحربية الكبيرة، وكانت من أهم القطع التي يتكون منها الأسطول في الدول الإسلامية. ويستدل من النصوص التاريخية أن الشواني هي الأصل الذي يتفرع منه أسماء السفن الحربية الأخرى ولواحقها فمنها الغراب، والطريدة والجفنة والحراقة . للمزيد انظر المقرئزي: الخطط ج ١، ص ٩٤ ، وايضا عطية مشرفة : نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين، القاهرة ١٩٤٨، ١٨٢-١٨٣ ، درويش النخيلي : السفن الإسلامية على حروف المعجم ، القاهرة ١٩٧٤، ص ٨٣-٨٥ .

٥٨ - يلاحظ أن المقرئزي اشار إلى أن عدد السفن التي هاجمت تنيس في هذه الغارة أربعين شيئاً وهو نفسه العدد من السفن التي هاجمت تنيس في الغارة السابقة الذي انفرد بذكرها وحده ، ومن المحتمل أنه اختلط عليه والأمر وانه لم تكن هناك سوى هذه الغارة الأخيرة عام ٥٧٣ هـ / ١١٧٧ ، والدليل على ذلك أنه كان مقتضياً في حديثه عن الغارة الأولى التي ذكرها عام ٥٧١ هـ / ١١٧٥ بينما في هذه الغارة الأخرى فقد فصل على نحو ما هو موضح بالمتن وقائعها ، وكالعادة فليس هناك أي ذكر لهذه الغارة في المصادر اللاتينية، للتفاصيل أنظر:

المقرئزي، الخطط نفس المجلد، نفس الصفحة وأنظر أيضاً، إماري : المرجع السابق ، ج ٣، ص ٤٩٩ ، صفى على، المرجع السابق، ص ٧٤-٧٥ .

Chalandon, f., op. cit, vol, 11, p. 393 وأيضا

٥٩ - جمال الدين الشيال: المرجع السابق، ص ١٠-١١، السيد عبد العزيز سالم والعبادي: المرجع السابق، ص ١٣١.

٦٠ - أشار المقرئزي إلى أن التجار كانوا يركبون السفن من تنيس إلى الفرما، ومنها إلى مواني البحر المتوسط الأخرى، لكن من الواضح أن عمق بحيرة تنيس لم يكن يسمح أن تسير فيها السفن ذات الحمولة الكبيرة، وأنها كانت أكثر صلاحية لمرور السفن صغيرة الحجم ، انظر: المقرئزي : الخطط ج ١ ، ص ٣٢١. وانظر أيضاً، البراوي : المرجع السابق ، ص ٢٩٦، صفى على ، المرجع السابق، ص ٦٩ .

٦١ - يعقوبي : كتاب البلدان ، ليدن ، ١٧٩٢ ، ص ٦١ ، وأيضا : أيمن فؤاد سيد: المرجع السابق ، ص ٣٣٨ .

62- مما يجدر ذكره أن عمال صناعة النسيج والحاكة في هذه المدينة كان معظمهم أو

جلهم من الأقباط وكان تعدادهم يصل إلى عشرة آلاف من سكانها وكان لهم كنائس كبيرة علي البحر تتبع أسقفية كبري من أسقفيات مصر، وقد عدد أبو المكارم سجلا باسماء خمسة وثلاثون بيعة لليعقوبية مستمرة فيها الصلوات إلى عام ٥٦٧ هـ / ١١٧١م للتفاصيل أنظر: تاريخ أبو المكارم : المصدر السابق ، نفس الصفحات ، المقرئزي : الخطط ج ١ ، ص ١٧٦ ، وأيضا، سلام الشافعي : المؤرخون النصارى في مصر الإسلامية، دراسة في السيرة والمنهج الأنبا ميخائيل الدمراوى ، أسقف تيس وكتابه ذيل سير الأباء البطاركة، منشأة المعارف ، الأسكندرية، ١٩٩٥، ص ٣٤ .

٦٣ - ذكر ابن بسام أن أهل تيس أحبوا نقش الملابس بالصورة والرقم، والتلوين بالأصابع، وأنهم كانوا اهل كرم ومؤازرة . أنظر : ابن بسام : المصدر السابق، ص ٣٧، ٤٠-٤١ .

٦٤ - كانت هناك عدة أنواع من المنسوجات التنيسية المشهورة التي لم يكن لها مثل في العالم آنذاك نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر : ثياب الشرب والشروب التي بلغ احيانا ثمن الواحد منها ألف دينار والذي قال عنه الإدريسي : "ليس له ما يدانيه في جميع الأرض من الحسن والقيمة انظر، "الإدريسي: المصدر السابق، ص ٣٣٨" . أما القصب التنيسي فهو نوع من الثياب الرقيقة المهلهلة كالمنخل ، ولا ينسج في أي مكان آخر في العالم قصب ملون مثله . كما أن هناك البوقلمون الذي يسمى احيانا القلموني وهو قماش ذو ألوان براقة تتألأ إذا انكسرت عليها أشعة الشمس، وأن لونه يتغير باختلاف ساعات النهار، يضاف إلى ما سبق أنواع أخرى من الأنسجة الشفافة، والأردية وأصناف المناديل والمناشف الفاخرة كل هذا وغيره كثير ساعد علي زيادة شهرة المدينة التي أصبحت مناط الآمال لكثير من القوي المحيطة للحصول علي تلك الأنواع من المنسوجات أو حتى الحصول علي صناع هذه المنسوجات وخاصة أن معظمهم من النصارى . ولا أدل علي أهمية هذه المدينة صناعيا وتجاريا ما أشار إليه ناصر خسرو من أن أحد أباطرة بيزنطة عرض علي أحد الخلفاء. الفاطميين مائة

مدينة مقابل مدينة تيس وحدها، أنظر:

ناصر خسرو : المصدر السابق، ص ٩٢ ، ابن بسام : المصدر السابق. ص ٣٧، وأنظر أيضا البراوي : المرجع السابق، ص ٢٢٦ ، صفى علي : المرجع السابق ، ص ١٣٥ .

٦٥- ناصر خسرو : نفس الصفحة، بينما أشار ابن بسام إلى أن تنيس كان بها دارا

لصناعة السفن ، أنظر، ابن بسام :

الصدر السابق ، ص ٣٧ .

٦٦- من أشهر هذه البحيرات الصغيرة المرتبطة ببحيرة تنيس الكبرى ، بحيرة الزار وجزيرة

حصن الماء، وجزيرة تونة والبحيرة النيلية ، انظر: "الإدرسي : المصدر السابق، ص ٣٣٣ .

٣٣٥ " . أما بالنسبة لحصن المدينة الرئيسي فقد تأسس بعد غزو البيزنطيين لدمياط و تنيس

عام ٢٣٨ هـ / ٨٥٢ م في يوم عرفة ، حيث دمروا دمياط

وخرجوا منها إلى اشتوم تنيس فدمروها ، وكان تقاعس عنبسة بن اسحاق (٢٣٨-٢٤٢

هـ / ٨٥٢-٨٥٦ م) وإلي مصر آنذاك عن مطاردتهم عند خروجهم من دمياط و تنيس سبباً

في أن يأمر المتوكل على الله (٢٣٢-٢٤٧ هـ / ٨٤٦-٨٦١ م) الخليفة العباسي ببناء

حصن دمياط و تنيس وحصن الفرما على البحر في عام ٢٣٩ هـ / ٨٥٣ م .

للمزيد انظر، المقرئ الخياط ج ١، ص ١٨٠، ٣١٢، وأنظر أيضاً، السيد عبد العزيز

سالم والعبادي : المرجع السابق، ص ٤٨، البراوي : المرجع السابق ، ص ٣٨١، عطية

القوصي : من اخبار المدن الإسلامية المندثرة " تنيس " ، المجلة العربية للعلوم الإنسانية،

العدد الثاني. المجلد الأول، ١٩٨١ ، ص ٤١ .

٦٧ - صفاء حافظ : المرجع السابق، ص ٢٤ - ٢٥ .

٦٨ - لجأ صلاح الدين إلى أسلوب إخلاء المدن من سكانها أو حتى تدميرها كسياسة

دفاعية ض اعداء البلاد من الصليبيين، وقد كرر هذا الأمر في عسقلان في سبتمبر ١١٩١

م/ ١٩ شعبان ٥٨٧ هـ ، والرملة واللد في ٢٦ سبتمبر ١١٩١ م/ ٣ رمضان ٥٨٧ هـ ، انظر

عن هذا:-

Ambroise, The Crusade of Richard Lion-Heart, Trens by, m,

j. Hubert New York, 1991, p. 272, Geoffrey de Vinsouf,

Crusade of Richard Coeur de lion, in Chronincls of the

Crusades, London, 1848, p. 264

وانظر أيضاً : ابن الأثير: المصدر السابق، ج ١٢ ، ص ٧٢، المقرئ : الخياط ج ١ ، ص ١٨١

وأنظر ايضاً، الشيال : المرجع السابق ، ص ٦٦-٦٧، السيد عبد العزيز سالم والعبادي :

المرجع السابق . ص ٢٧٥ وأيضاً:

Lone- poole, Saladin, Lonoden, 1898, p. 326.

٦٩ - المقريري : المصدر السابق ، نفس المجلد والصفحة. وانظر أيضا: الشيال : المرجع السابق ، ص ٦٧. ومما يجدر ذكره أن أطلال المدينة تقع الآن على بعد تسعة كيلومترات جنوب غربي مدينة بورسعيد الحالية . ولم يتبق منها بشكل واضح سوي تل تيس أو كوم تيس . انظر : محمد رمزي بك : القاموسي الجغرافي للبلاد المصرية، القاهرة ، ١٩٩٤ ، القسم الأول، البلاد المندرسة ، ص ١٩٧ .

٧٠ - صفي على: المرجع السابق، ص ٣٠٤ .

٧١ - Wieruszowski, op. cit, p. 28.

٧٢ - ابن جبير : الرحلة، ص ٢٥٧، وأنظر أيضا، هونكه : المرجع السابق ، ص ٤١٠، ٤١٣ .
وأیضا: عزيز سوربال عطية : الحروب الصليبية وتأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب، ترجمة فيليب صابر، مراجعة أحمد خاكي ، القاهرة ، ١٩٩٠ ، ص ٣٧

Gabrieli , F., la poltique arabe des Normands de Sicile, SI.,
1958, pp. 83,85.

٧٣ - حسن حبشي : المرجع السابق ، ص ٢٩١ .

٧٤ - أمينة الشوربجي، المرجع السابق ، ص ٣٨١ - ٣٨٢ .

٧٥ - Abulafia, D. Crown and Economy, p. 14-

٧٦ - كانت هناك سفن صغيرة شرعية تنقل هذه البضائع عبر النيل مثل العيشارى والسومارى، كذلك كان هناك نوع من السفن التي استخدمت في التجارة بين مصر وصقلية تسمى الهاجم ، وهي نوع من السفن مصمم على اساس وجود تجويف واسع للشراب ، وهي مستديرة الشكل ، وهناك كذلك الأغرية التي تعني الصندوق، وهي سفن حادة الشكل تشبه سفن الدرمون التي استخدمها الرومان في الشرق.. للتفاصيل، انظر:

Goitein, op. cit, pp. 33, 39.

و أيضا درويش النخيلي : نفس المرجع والصفحة.

٧٧ - انظر ما سبق، ص ٩-١٠ .

٧٨ - Brik, J., Op. cit., p.23.

٧٩ - Falcandus , op . cit , pp. 68.

٨٠ - Brik, J., Op .cit., Loc. Cit

٨١ - ابن جبير: الرحلة ، ص ١٩ : ٧٩ - ٧٨ .Falcandus, op. cit, pp

CF. also, Gabrieli, F., op. cit, op. 85, Abulafia, D., The Norman Kingdom of Africa, pp. 41-43.

، وانظر أيضا، عزيز أحمد: المرجع السابق، ص ٨١ ، ٧٧ ، ٤٥ .

٨٢ - أحلت النورمان سوسة وصفاقس وقابس في عام ١١٤٨ م / ٥٤٣ هـ كما إحتلوا مدينة عنابة عام ١١٥٣ م / ٥٤٨ هـ بل أن وليام الأول أرسل عشرين شينياً لإخماد ثوره زويلة ٥٥١ هـ / ١١٥٨ م ، ودفعت معظم بلاد افريقيا باستثناء تونس ومدينة أو مدينتين غيرها الجزية لروجر الثاني ، والذي أضاف إلى ألقابه لقب "ملك أفريقيا". انظر:

.Abulafia, D., op.Cit, pp ، .45,48 .

وأیضا، عزيز احمد : المرجع السابق ، ص ٦٩ - ٧٠ .

Abulafia , D., the Two Italis, p. 86 -83

Falcandus , ،p.225. Romuald of Salerno, op. cit, p. 240.-84

op . cit

وانظر أيضا. جمعه الجندي : المرجع السابق، ص ٤٦-٤٨ .

٨٥ - جمعه الجندي: المرجع السابق ، ص ٣٠ .

٨٦ - أشار كلود كاهن إلى تسامح الفاطميين مع التجار الأجانب وان معظم التجار الإيطاليين ومنهم نورمان صقلية، ترددوا على القاهرة بشكل خاص خلال القرن الفاطمي الأول ، أنظر: كلود كاهن : تجار القاهرة الأجانب في عهد الفاطميين والأيوبيين ، الندوة الدولية لتاريخ القاهرة ، دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٧١ ، ج ٢ ، ص ٨٧١ - ٨٧٢ .

٨٧ -صبحي لبيب: الفندق ظاهرة سياسية واقتصادية وقانونية، ضمن ندوة مصر والبحر

المتوسط القاهرة ، ١٩٨٦ ، ص ٢٩٠ - ٢٩١ .

٨٨ - عزيز أحمد: المرجع السابق ، ص ٧٠ .

Gabrieli , op. cit, ، ٨٩ - أماري : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٤٥٤ ،

p. 86

Goitein, op, cit. . pp.33,39 - ٩٠

٩١ - جمعه الجندي : المرجع السابق، ص ٢٣ ، ٢٩ .

٩٢ - أشار ابن ميسر لهذه المراسلات حينما ذكر إنه في سنة ٥٥٣ هـ / ١١٥٨ م قدم رسول ملك القسطنطينية إلى الصالح طلائع بن رزيك يطلب المساعدة. وبالتحديد يطلب مراكب نجده له

على صاحب صقلية . أنظر: ابن ميسر : المصدر السابق، ص ١٥٦
٩٣ - محمد جمال الدين سرور: سياسة الفاطميين الخارجية، دار الفكر العربي ، القاهرة، ١٩٩٤ ،
ص٢٤٤ ، عارف الدورى : المرجع السابق ، ص ١٤٣ ، ١٤٦ أماري المرجع السابق، ج ٣، ص
٤٥٤ ، ٤٥٣ .

Travaini. l., The Norman Between Byzantium and The -٩٤
Islamic world ,
Dop.vol,55.,2001,p.188.

Manfroni , C., storia delta marina italiana delli invasioni ٩٥
brabriche al -
trattoto di Ninfco , R O L, Tome , VII, 1899, pp 340-342.
وأنظر أيضا، البراوي : المرجع السابق، ص ٢٢٠ - ٢٢١ القوصى : المرجع السابق، ص ١٦٢ .
٩٦ - في هذه المعاهدة ايضا تعهدت الحكومة الفاطمية بمنح حمايتها للتجار والحجاج الذين يأتون
إلى أراضيها في حالة سلمية، ويحرم من هذا الامتياز كل من كان قرصانا وكل من يسافرون على
مراكب حربية ، وقد زادهم الخليفة الفاطمي العاضد نخبه من المنح والأمتيازات الأخرى . انظر:
Amari.M, Diplomi arabi del real Archivio Fiorentino ,
Florence, 1863 (vol, 2, N.5.p253)
لكن الغريب أن بيضا قامت بدور مزدوج حينما تعاونت مع الصليبيين في الحملة على دميا ١٦٩ م /
٥٦٥ هـ انظر كذلك:

هايد : تاريخ التجارة في الشرق الآدي في العصور الوسطى ، ترجمة عز الدين إسماعيل ، الهيئة العامة
للكتاب ، القاهرة، ١٩٨٥ ، ج ١ ، ص ١٤٢ ، أماري: المرجع السابق، ج ٣، ص ٤٥٦ ،
القوصي : المرجع السابق ، ص ١٦٣ ، أحمد رمضان : المرجع السابق ، ص ١٧ .
٩٧ - كلودكاهن : الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، ترجمة أحمد الشيخ، دار سينا للنشر،
القاهرة ، ١٩٩٥ ، ص ١٦٢ ، ١٧٧ .
وقد زاد من وطأة هذه الامتيازات البيزية في مصر على النورمان، التحالف الذي قام بين بيزنطة وبيزا
وجنوة، حيث وافق الجميع علي ضرب حصار حول صقلية في حوض البحر المتوسط غربه وشرقه .
أنظر:

.,Codice Diplomatico delta Repubblica di Genova, acura dic .

Amari, M
Imperial di sant Angelo (Roma ,1936) , N. 195,
CF. also, Travaini, L. op. cit, loc ",cit

٩٨ - كاهن : المرجع السابق، ص ١٧٧.

٩٩ - Davis Sccord, op . cit .pp.241,245

و أيضا عزيز سوريال عطية ، المرجع السابق. ص ٣٧ ، ٦٠ .

١٠٠ - يرى أحد الباحثين المحدثين أن نورمان صقلية قد أسرعوا بالدخول بقوة وشجاعة إلى جانب الحركة الصليبية، بل أنه أعتبر أن صقلية برزت كمملكة نتيجة الحرب الصليبية الثانية، بعد مساعدتهم لويس السابع في طريق عودته بعد فشل الحملة خاصة عندما نزل كالابريا. عزيز سوريال عطية - المرجع السابق ، ص ٦٠، وكان روجر الثاني كما يشير ،زابوروف، قد تعهد لويس فقط بتأمين المأكولات ووسائل النقل لجنود الحملة الثانية، وكان روجر ينظر لنفسه باعتباره حامى المسيحية رغم أنه لم يشارك في هذه الحملة بطريقة فعلية . انظر زابوروف : الصليبيون في الشرق، ترجمة إلياس شاهين ، دار التقدم، موسكو، ١٩٨٦ ، ص ١٨٠. هذا في الوقت الذي أشار فيه "ماستناك" إلى أن جهد روجر في الحملات الصليبية - وبالطبع من ورائة أولاده - كان جهدا مخلصا بيد أنه كان جهدا فردياً - انظر ماستناك: السلام الصليبي، ترجمه بشير السباعي ، القاهرة ٢٠٠٣ ، ص ٢٦٢ .

١٠١ - جمعه الجندي: المرجع السابق، ص ٢٢ ، عبده جمعة : المرجع السابق . ص ١٧٨ ، ٢٢٠ .

102 - Wieruzowski, H., The Norman Kingdom of Sicily and Crusade , The Crusade , in , Setton History of the , Penselphania , Philadelphia, U . S . A., 1962, vol. II , pp. 21,24.

١٠٣ -وليم الصوري: المصدر السابق، ج ٢ ، ٨٤٠ ، ٨٤١ ، وأيضا: رانسيمان: المرجع السابق ، ج ٣، ص ٥٩٠ - ٥٩١ .

Genevieve, B. B. (ed) le cartulaire Du Saint -Sepulcre -104 De Jerusalem, Paris, 1984, Doc N . 157, 164 , p. 306-307, 316-317.

Gabrieli, op. cit, p 84. -105

١٠٦ - عن تفاصيل ما حدث للأسطول الصقلي في مياه الإسكندرية ١١٧٤م / ٥٧٠ هـ أنظر أبو شامة : المصدر السابق ج ١، ص ٢٣٤ - ٢٣٥، وانظر أيضاً : أحمد رمضان أحمد : المرجع السابق ص ٣١ .

Wieruszowki. P. 36

١٠٧ - جمعه الجندي: المرجع السابق ، ١٩-٢٠.

Wieruszowski, Sicily and the Crusades, pp. 33-34. -108

١٥٩ - عزيز أحمد: المرجع السابق. ص ٨١ .

١١٠ - أشار ابن الأثير إلى سوابق وليم الأول في الأنتقام حين ذكر قوله " أن قتل عبد المؤمن أصحابنا بالمهدية ، قتلنا المسلمين الذين هم في جزيرة صقلية، وأخذنا حرمهم وأموالهم . ابن الأثير: المصدر السابق، ج ١١، ص ٢٤٥.

١١١ - إنظر ما سبق ص ٢٩ .

١١٢ - امارى : المرجع السابق، ص ٤٥٣ .

١١٣-81 -80 Falcandus , op. cit, pp . 80 ، وأيضا حسن حبشي ، المرجع السابق، ص ٢٩٠ .

١١٤ - يقول فيليب تايلور عن نفسية وطباع أولئك النورمان "إذا أدار النورمان أعناق جيادهم فحأة ، فقد حاصروا المهاجمين واعملوا فيهم القتل من كل جانب فلم يتركوا أحدهم حيا". تايلور : المرجع السابق ص ٩٢.

١١٥- كاهن : المرجع السابق ، ص ١٥٩ ، وعزيز أحمد : المرجع السابق ، ص ٦٥.

١١٦ - كاهن : المرجع السابق ، نفس الصفحة.

١١٧ - أنظر ما سبق ص ١٤ .

١١٨ - ابن جبير: الرحلة، ص ٢٥٦-٢٥٧ ، وأنظر أيضاً: Kenamos, op.cit,p .118

Chalandon, op. cit, pp., 703-704, Brik, op. cit ,p. 174.

Davis Sccond, op . cit, p. 136. -119

١٢٠ - ابن بسام : المصدر السابق ، ص ٣٧، المقريري : الخطط، ج ١ ، ص ١٨١ .

١٢١ - المقريري : الخطط ، ج ١ ، ص ١٨١ .

١٢٢ - كان الجزء الشمالي الشرقي في مصر يشكل كورة واحدة في أيام الفاطميين تسمى " كورة تيس ودمياط " انظر ناصر خسرو: المصدر السابق ، ص ٩٤، وأيضا: الشيال : المرجع السابق ،

ص ١٠ ، ١٣ .

١٢٣- المقريري: المصدر السابق نفس الجزء والصفحة. و انظر ايضاً محمد رمزي بك المرجع السابق

، ج ١ ، ص ١٩٧ .

١٢٤ - البراوي: المصدر السابق ، ص ٢٨١ .

١٢٥ - القوسي : من أخبار المدن المنشرة " تنيس " ، ص ٤٢ .

قائمة المختصرات

DOP	Dumbarton Oaks Papers
E.H.R	English Historical Review
HSCPH	Harvard Studies in Classical Philology
JNS	Journal of Norman Studies
N. CMH	New Cambridge Medieval History
ODP	Oxford Dictionary of Byzantium, 3 vols, (Oxford, 1991)
PG	Patrologia Graeca
RIS	Reviu Italarum Scriptoros
SP	Speculum
SI	Studia Islamica

أولاً: المصادر

(١) المصادر الأجنبية:

- Amari,M. (ed), Diplomi arabi del real archive Fiorentino (Florence, 1863).
- , codice diplomatico della Repubblica di Genova , a cura die. Imperiale di sant Angelo (Roma,1936).
- Ambroise, The Crusade of Richard Lion-Heart, Trans by, M. J. Hubert, New York, 1991.
- Eustasios of Thessaloniki, Eustathii Thessalonicensis Manuelli Comneni Laudatio Fonebris, PG. cxxxvi.
- H. Falcandus, The History of The Tyrants of Sicily, by "Hugo Falcandus" 1154 —1169, Trans and Annotated by Graham A. loud and Thomas Wiedeman (Manchester And New york, 1998).
- Genevieve, B.B. (ed), le cartulaire Du Sant - Sepulcre De Jerusalem, paris, 1984.
- Geoffrey de ViDSOuF, Crusade of Richard Coeur de lion, in Chronincls ol the Crusades, London, 1848.
- Kinamos, I., Deeds ofjohn and Manuel Comnenus, English Trans, CH.Brand (New york, 1976).
- Manfroni, C.,storia della marina italiana delli invasioni brabriche al troato di Ninfeo, R O L,Tome , VII, 1899.
- Otto of Freising, The Deeds of Frechick Barbarossa., English Trans, C. C., Mierow (Columbia,1966).
- Romuald of Salerno , Chronicon, ed. C. A., Gorufi, RIS.7(Bologna, 1935) . partial English trans by Graham A. loud and Thomas Wiedeman (Manchester And New york, 1998).
- William of Tyre, Historia rerum in paribus Transmarini gestarum a Tempare successorum Mahumeth Usuque ad annum

domini MCCXXXIV, ed. R. H. C. H. OCC. Tome. I, paris 1844.

واعتمدنا على الترجمة العربية لهذا الكتاب تحت عنوان " تاريخ الحروب الصليبية ، الأعمال المنجزة فيما وراء البحار " نقله إلى العربية د/سهيل ذكار ، دمشق ، ط ١ ، ١٩٩٠ م .

(ب) المصادر العربية:

- ابن الأثير: (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م) أبو الحسن علي بن أبي الكرم :
"الكامل في التاريخ" ، ١٢ جزء ، بيروت ، ١٩٨٢ م .
- ابن ابيك (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣٣ م) أبي بكر بن عبد الله بن أيك الدواداري:
"كنز الدر وجامع الغرر" ، الجزء السادس : الدرّة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية ، تحقيق صلاح الدين المنجد، القاهرة، ١٩٦١ م .
- ابن بسام التنيسي: (تاريخ الوفاة غير معروف) محمد بن أحمد بن بسام المحتسب التنيسي:
أنيس الجليس في أخبار تنيس ، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة ، ٢٠٠٠ .
- ابن تغر بردى (٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م) جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغربردي الأتابكي:
" النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ١٥ جزء، مطبوعات الهيئة العامة لقصور الثقافة بالقاهرة، ٢٠٠٨ م .
- ابن جبير (ت ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م) أبو الحسن محمد بن أحمد الأندلسي:
" رحلة ابن جبير " ، ضبطه ووضع فهرسه الدكتور محمد زينهم ، دار المعارف ، القاهرة ، ٢٠٠٥ م .
- ابن خلكان (ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) أبو العباس شمس الدين أحمد بن خلكان:
"وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان" ، حققه الدكتور إحسان عباس ، ٨ مجلدات ، دار الثقافة بيروت ، لبنان ، د . ت .
- ابن شداد (ت ٦٣٢ هـ / ١٢٣٩ م): بهاء الدين أبو المحاسن يوسف المعروف بابن شداد:
"النوادر السلطانية والمحاسن اليوسيفية" ، مكتبة نخضة مصر، ١٩٨٨ م .
- ابن القلانسي: (ت ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م) أبو يعلي حمزة بن أسد التميمي:
"ذيل تاريخ دمشق" ، نشره أ. أمدورز، بيروت ، ١٩٠٨ م .
- ابن ميسر (ت ٦٧٧ هـ / ١٢٧٩ م) تاج الدين محمد بن علي بن يوسف بن جلب راغب:

- "المنتقى من أخبار مصر" ، انتقاه تقي الدين أحمد بن علي المقرئ، حققه وكتب مقدمته وحواشيه ووضع فهرسه الدكتور أيمن فؤاد سيد، القاهرة، ١٩٨١ م.
- أبو شامة (ت ٦٦٥ هـ / ١٢٦٧ م) شهاب الدين أبي محمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل:
"الروضتين في أخبار الدولتين" ، دار الجيل ، بيروت ، د. ت .
- أبو المكارم :
- تاريخ أبو المكارم المعروف " بتاريخ الكنائس والأديرة في القرن الثاني عشر بالوجه البحري" ، الجزء الأول ، إعداد الأنبا صموئيل ، النعام للطباعة والتوريدات ، القاهرة ، ١٩٩٩ م .
- الإدريسي (ت ٥٦٤ هـ / ١١٦٨-١١٦٩ م) أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني المعروف بالشريف الإدريسي:
"نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" ، مكتبه الثقافة الدينية ، القاهرة ، د. ت .
- أسامة بن منقذ (ت ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م) مؤيد الدولة أبو المظفر أسامة بن مرشد:
"كتاب الاعتبار" ، تحقيق فيليب حتي، الولايات المتحدة ، برنستون ، ١٩٣٠ م .
- المقرئ (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢ م) تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي:
"كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط لمقرئ ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د. ت .
- "اتعاط الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء" ، تحقيق محمد حلمي محمد، ثلاثة أجزاء، نشره المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ، ١٩٧٦ م .
- المقدسي (عاش في ق ٤ هـ / ق ١٠ م) شمس الدين أبو عبد الله البشاري المقدسي:
" أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم " ، ط ٣ ، القاهرة ، ١٩٩١ م .
- ناصر خسرو علي (ت ٤٥٣ هـ / ١٠٦١ م) أبو معين الدين:
سفر نامه ، ترجمة الدكتور يحيى الخشاب ، القاهرة، ط ٢ ، ١٩٩٣ م .
- اليعقوبي:(ت ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م) أحمد بن أبي يعقوب بن وهب بن واضح:
كتاب البلدان ، ليدن ، ١٧٩٢ .

ثانيا : المراجع

(أ) المراجع الأجنبية:

-Abulafaia , D., The Crown and the Economy under Roger II and his successor, DOP. vol, 37 ,1983 , pp. 1 - 14.

.....The Norman kingdom of Africa and the Norman expeditions to Majorca and Muslim Mediterranean , ANS , VII, 1985 ,pp. 26 - 49.

.....The Two Italies, Economic relations Between The Norman Kingdon of Sicily and the Northern communes; Cambridge university Press, 1977.

-Brik, J. C., Sicilian counterpoint: power and pluralism in Norman Sicily, Uninversity of California, 2006.

-Chalandon , F., Histoire de la domination Normade en Italie et en Sicile , 2 vols , paris , 1907.

-Chiarelli, L. C., Sicily During the Fatimid age , University of Utah , 1986.

-Davis - Scord , S. C., Sicily and the Medieval Meditranean,

communication Networks and inter - regional exchange, Notre Dame , Indiana, U. S. A., 2007.

-Drell, J. H., Marriage , kinship , and power family structure in principality of Salerno under Norman rule , 10 77 - 1154 Brown University , 1996.

-Gabrieli F., La politique arabe des Normands de Sicile, SI, I ,pp.83-96, 1958.

-Goitein , S. D., From the Mediterranean to India , Document on Trade to India , south Arabia , and Hast Africa from the Eleveuth and twelfth Centuries, Sp. vol 39, PP. 18-197,1954.

-Haskins , CH., The Norman in European History, Cambridge, Mass, 1915.

- Haskins. CH.; Lockwood , D. P., The Sicilian Translator of The Twelfth Century and First latin version of Ptolemy's Almagest, in H. S. C. Ph. voL, 21,1910, pp. 75-102.
- Johnes , J., The Norman Kingdom of Sicily and the Fatimid caliphate , ANS , Tom. 15 ,1992, PP. 133-159.
- Koenigsberger, H. G., (ed), A history of Sicily; Medieval Sicily (800/1713) ; Modem Sicily after 1713, by Denis Mack Smith, EHR. vol, 85, N. 336 (July. 1970) pp. 560 - 562.
- Lane-poole, Saladin, London, 1898.
- Lille, R. J., Handel und politic zwishen dem byzantinischen Reich und Ttalienischen komunen venedig, pisa und jenua in der epoche der komenen und der Angaloi (1181-1204), Amesterdam, 1984,
- Loud , G. A ; Norman Sicily in the Twellth Century, NCMH vol 17 , part II, 1908 pp. 442 - 474.
- Longnon, J., les Francias d'outre-mer, Essai sur lexpansion francais dans le Bassin de la Medterraneanee , Paris , 1929.
- Magdalino , P., The Empire Manuel I Komnenos, 1143 - 1180 , Cambridge university press , 1933.
- Takayama, H.; Exploring Amedieval kingdom of Sicily and ; its administration, Yale University, 1990.
- Travaini, L., The Normans Between Byzantium and Islamic world , DOP ; voL 55 , 2001, pp. 179 -196.
- Wiersuzowaki, H., Roger II of Sicily , Rex - Tyranus , in Twelfth Centuy plotical thaught, Sp. voL 38, N. I (jan. 1963), pp. 46-78.
-The Norman Kingdom of Sicily and the Crusade, in Setton, History of the Crusade, Pensilphania, Philadelphia, USA,1962, vol, II, pp. 3- 24.

(ب) المواقع الإلكترونية:

<http://WWW.PortSaid-online.com/comraunity/viewtopic.php?f=10&t=13837>

رابعاً : المراجع العربية:

- أحمد رمضان (الدكتور) تاريخ فن القتال البحري في البحر المتوسط "العصر الوسيط" (٣٥ هـ - ٦٥٥ م / ٩٧٨ هـ - ١٥٧١م) مشروع المائة كتاب ، العدد ٧، القاهرة ، ١٩٧٧ .
- إسحاق عبيد (الدكتور): روما وبيزنطة من قطيعة فوشيوس حتى الغزو اللاتيني لمدينة قسطنطين (٨٦٩ - ١٢٠٤م) دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٠ م .
- أمينة أحمد الشوربجي (الدكتور): رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية لمصر في العصر الفاطمي (٣٥٨ - ٥٦٧ هـ / ٩٦٩ - ١١٧١م) القاهرة، ١٩٩٤ م .
- أيمن فؤاد سيد (الدكتور): الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد، الدار المصرية اللبنانية ، ٢٠٠٧ م .
- تقي الدين عارف الدوري (الدكتور): صقلية، علاقتها بدول البحر المتوسط الإسلامية من الفتح العربي حتى الغزو النورماندي، منشورات وزارة الثقافة ، العراق ، ١٩٨٠ م .
- جمال الدين الشيبال (الدكتور): مجمل لتاريخ دمياط سياسيا واقتصاديا، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٠ م.
- جمعه مصطفى الجندي (الدكتور): علاقات نورمان صقلية بالقوى الإسلامية في شمال أفريقيا خلال القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، حوليات كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، مجلس النشر العلمي ، جامعة الكويت ، الحولية ٢٣ (٢٠٠٢ - ٢٠٠٣م).
- حامد زيان غنيم (الدكتور): العلاقات بين جزيرة صقلية ومصر والشام إبان الحروب الصليبية (٤٩٠-٦٥٩ هـ / ١٠٩٦-١٢٦١م) رسالة دكتوراة غير منشورة ، كلية الآداب جامعه القاهرة، ١٩٧٣ م .
- حسن حبشي (الدكتور): تاريخ العالم الإسلامي، سلسلة تاريخ المصريين، عدد ٢٥٩، لسنة ٢٠٠٦ م .
- درويش النخيلي : السفن الإسلامية على حروف المعجم ، مطابع الأهرام التجارية ، القاهرة ، ١٩٧٤ .
- راشد البراوي : حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين، مكتبه نخضة مصر ١٩٤٨ .
- رانسيمان . س : تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة السيد الباز العريني ، دار الثقافة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٢ .

- زابوروف: الصليبيون في الشرق ، ترجمة إلياس شاهين، دار التقدم، موسكو، ١٩٨٦ .
- سلام شافعي (الدكتور): المؤرخون النصارى في مصر الإسلامية ، دراسة في السيرة والمنهج ، الأنبا ميخائيل الدمراوي أسقف تنيس وكتابه (ذيل سير الآباء البطارقة) منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ١٩٩٥ م .
- سبمينوف.أ. : تاريخ مصر الفاطمية، ترجمة وتحقيق حسين بيومي، القاهرة، ٢٠٠١ م .
- صبحي لبيب (الدكتور): الفندق ظاهرة سياسية ، اقتصادية ، قانونية ، ضمن ندوة مصر والبحر المتوسط ، القاهرة ، ١٩٨٦ م .
- صفاء حافظ عبد الفتاح (الدكتور): الموانئ والثغور المصرية من الفتح الإسلامي حتى نهاية العصر الفاطمي ، دار الفكر العربي ، القاهرة، ١٩٧٧ م .
- صفى على (الدكتور) : مدن مصر الصناعية في العصر الإسلامي إلى نهاية عصر الفاطميين ، القاهرة، ٢٠٠٠ م .
- عبد الرحمن الراجحي وسعيد عاشور: مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي حتى الغزو العثماني ، القاهرة، ١٩٧٠ م .
- عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب ، ١٠ مجلدات ، المملكة المغربية، ١٩٧٧ ، المجلد الخامس .
- عثمان العكاك: مسلك القاهرة، الندوة الدولية لتاريخ القاهرة (مارس - أبريل)
دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٧١ ، ص ٧٧٩ - ٩١١ .
- عزيز أحمد : تاريخ صقلية الإسلامية ، نقله إلى العربية وقدم له أمين توفيق الطيبي، طرابلس ، ليبيا، ١٩٨٠ م .
- عزيز سوريال عطية : الحروب الصليبية وتأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب ، ترجمة فيليب صابر، مراجعة أحمد خاكي ، دار الثقافة العربية ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٩٠ م .
- عطية القوصي (الدكتور): من أخبار المدن الإسلامية المنذرة "تنيس"، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد الثاني ، المجلد الأول ، ١٩٨١ م .
- مصر الفاطمية وعالم البحر المتوسط، ضمن أعمال ندوة مصر وعالم البحر المتوسط، القاهرة، ١٩٨٦ م .
- عطية مصطفى مشرفة: نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين (٣٥٨ - ٥٦٧ هـ / ٩٦٨ -

- ١١٧١م)، دار الفكر العربي، القاهرة، ط ١، ١٩٤٨م.
- عبده جمعه مسعود: السياسة الخارجية لنورمان جنوب إيطاليا وصقلية في عهد روجر الثاني (١١١٢ - ١١٥٤م / ٥٠٦ - ٥٤٨ هـ)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب بدمهور، جامعه الإسكندرية، ٢٠٠٧م.
- فيليب تايلور: قصف العقول، ترجمة سامي خشبة، سلسلة عالم المعرفة، عدد ٢٥٦، ٢٠٠٠م.
- كلود كاهن: الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، ترجمه أحمد الشيخ، دار سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٥م.
- : تجار القاهرة الأجانب في عهد الفاطميين والأيوبيين، الندوة الدولية لتاريخ القاهرة (مارس - أبريل) دار الكتب، القاهرة، ١٩٧١.
- توماس ماستنك: السلام الصليبي، ترجمه بشير السباعي، القاهرة، ٢٠٠٣.
- محمد جمال الدين سرور (الدكتور): سياسة الفاطميين الخارجية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٤.
- محمد رمزي بك: القاموس الجغرافي للبلاد المصرية، القسم الأول، البلاد المدرسة، القاهرة، ١٩٩٤م.
- محمود سعيد عمران (الدكتور): الحملة الصليبية الخامسة، حملة جان دي برين على مصر ١٢١٨ - ١٢٢١م / ٦١٥ - ٦١٨ هـ، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥.
- ناريمان عبد الكريم: المرأة في مصر في العصر الفاطمي، القاهرة، ١٩٩٣.
- هايد. ف: تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ترجمه عز الدين إسماعيل، أربعة أجزاء، القاهرة، ١٩٨٥م.
- هونكه. ز: شمس العرب تسطع على الغرب "أثر الحضارة العربية في أوربا" نقله عن الألمانية، فاروق بيضون، وكمال دسوقي، راجعه ووضع حواشيه، فاروق عيسى الخوري، دار الآفاق، بيروت، ط ٦، ١٩٨١م.